الإنباه على شرح حديث " كان الله "
دراسة تفصيلية تأصيلية

إعداد

أحمد السيد أحمد الجداوي

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية

جامعة الأزهر

من ٢٠١٧ إلى ٢٠٩٢

ملخص البحث

يتحدث البحث عن قضايا غيبية تتعلق بأزلية وجود الله تعالى و أول ما خلق من المخلوقات

يضبط هذا الحديث مجال الفكر في هذه الأمور الغيبية التي لا محال للعقل فيها ، و في نفس الوقت يحتاج الفكر إلى إشباع الرغبة في معرفتها ، فكان هذا الحديث نور يضيء الطريق للعقل في معرفة هذه الأمور

احتوى البحث على أقوال العلماء في أول المخلوقات و أدلتهم مع بيات الراجح مع التعليل

احتوى البحث على تفاصيل جزئيات الحديث و بيان معانيها بما لا يوجد في موضع آخر

استوعب البحث تخريج حديث " كان الله" من أكثر من خمسة و عشرين موضعاً مع المقارنات في المتن

استوعب البحث كل ما وقفت عليه من أحاديث تتكلم عن بداية الخلق مع دراستها و الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين أو احدهما

من خلال البحث تبين قلة الأحاديث التي تكلمت عن بدء الخلق ، و تبين بأن ذلك لم يكن يشغل الصحابة رضوان الله عليهم

Attention A modern explanation"Allah"
Detail tasilih

Preparation of
Mr Ahmed Elsaeed Ahmed EJ jeddaoui
Assistant Professor of Hadith and its Sciences, Faculty of Islamic studies and Arabic for girls at Al-Azhar University branch in Alexandria

Search summary
Talking search supernatural issues regarding Allah almighty eternal existence and the first creation of creatures
This modern thought these things inevitably by the metaphysical mind, and at the same time needs thought to satisfy the desire to know, was this talk light the way for the mind to know these things.
Search contains scholarly in the first creatures and their evidence with the PIAT probably with explanation
Search contains details of modern molecules and meanings including no elsewhere
Search recent graduation grasped "Allah was" of more than twenty-five locations with comparisons in the tenderloin
Search grasped everything it stood conversations talking about the beginning of creation with study and judge her if she wasn't the correct one or the
Through research showing a few conversations that spoke about the beginning of creation, and it turns out that it wasn't running the sahaabah Allah on them.

Kay ward: Attention , A modern , explanation, Detail tasilih
Email: dr.elgedawy1972@ yahoo. com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي الملك و الملكوت و أشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله و صفيه من خلقه و خليله صلى الله عليه و سلم تسليماً كثيراً

أما بعد

فإن من أخطر الانحرافات الفكرية ان يكون الفكر في غير مجاله الذي شرع له ، فينحرف إلى التفكير في ذات الله تعالى او يتكلم عن الغيبيات بضرب من الظن و التخمين ، و التفكير في غير موضعه يضل صاحبه بل قد يؤدي به إلى الكفر و الإلحاد ، و العاصم لهذا العقل من الزلل و الشطط هو اتباع ما في القرآن و السنة النبوية فيما يتعلق بالله تعالى و ببدء و أولويته و ترتيبه ، و من أهم الاحاديث في هذا الموضوع حديث " كان الله " الذي يعتبر العمدة في معرفة أزلية الله تعالى و معرفة كيف بدء الله الخلق ، فكان بحثي حول هذا الحديث و سميته " الإنباه على شرح حديث " كان الله " .

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في ثلاثة أمور :

الأول: عدم الوقوف على دراسة علمية حديثية فصلت القول في هذا الحديث

الثاني: قلة العناية الكافية من المتخصصين بمثل هذه الأمور الغيبية رغم شطط الفكر فيه لدي قطاع كبير في المجتمع الإسلامي .

الثالث: أن الحديث فيه يحتاج لتروي و حذر لأن مبناه على النص وعدم الخوض فيما يحتمله

أهداف البحث .

كان هدفي من هذا البحث عدة أمور:

الأمر الأول : الوقوف على أقوال و أدلة أهل العلم في معرفة أولية بدء الخلق .

الأمر الثاني : الوقوف على مجال التفكير في ضوء النص فيما يخص ذات الله تعالى و بدء الخلق

الأمر الثالث: الوقوف على النصوص التي تصلح للاعتماد عليها فيما يخص ذات الله تعالى و بدء الخلق

منهج البحث

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي .

إجراءات البحث

تتبعت كل من أقوال و أدلة عند أهل العلم ، و قمت بدراسة الأدلة المرفوعة في غير الصحيحين حتى يتبين اعتبارها من عدمه ، و قمت بالترجيح بين الأقوال على حسب ما ظهر لي ، و قمت بدراسة جزئيات الحديث بالتفصيل حتى ينجلي معناه و يزول عنه الغموض و الالتباس

الدراسات السابقة للبحث

لم أقف على دراسة علمية في هذا الموضوع

خطة البحث

قسمت البحث – بعد هذه المقدمة – إلى ستة مباحث و خاتمة

المبحث الأول: حديث " كان الله" نصه و تخريجه و لطائفه

المبحث الثاني: سبب ورود الحديث و ما جاء في سؤال بني تميم

المبحث الثالث : في قوله ﷺ " كان الله و لم يكن شيء غيره "

المبحث الرابع : في قوله ﷺ " و كان عرشه على الماء "

المبحث الخامس : في قوله ﷺ " و كتب في الذكر كل شيء "

المبحث السادس : في قوله ﷺ " و خلق السماوات و الأرض "

الخاتمة ، و فيها أهم نتائج البحث ، و مصادره

المبحث الأول : حديث " كان الله" بين نصه و تخريجه و لطائفه و سببه، و فيه مطالبان

المطلب الأول : نص الحديث و تخريجه

أولاً : نص الحديث : قال الإمام البخاري في صحيحه :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ:« اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا،(١)

ثانياً : تخريج الحديث :

١- البخاري من طريق أبي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ به(٢)

٢- البخاري عن مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ به،(٣)

٣- البخاري عن أَبُي نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ صَفْوَانَ به(٤)

---

(١)كتاب بدء الخلق: باب وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ "٣٣١/٤ رقم ٣١٩٠،بسنده و متنه

(٢) كتاب التوحيد: باب " وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" ١٣/ ٣٣٢ رقم ٧٤١٨ بسنده و متنه ،

(٣) كتاب بدء الخلق: باب "وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ " ٣٣١/٤ رقم ٣١٩٠،

(٤) كتاب المغازي: باب وفد تميم ٦/ ٣٤٣ رقم ٤٣٦٥

٤-البخاري عن عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا جَامِعُ به(١)

٥- الترمذي عن ابْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ به(٢)

٥- النسائي من طريق عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن جامع عنه به(٣)

٧- أحمد من طريق أبي معاوية عن الأعمش عنه به (٤)

٨- ابن حبان من طريق عُبَيْدَةَ بْنِ مَعْنٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ عنه به (٥)

٩- ابن حبان من طريق شيبان عن الأعمش عنه به (٦)

١٠- الطبراني من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عنه به(٧)

١١- الطبراني من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به(٨)

١٢- الطبراني من طريق محمد بن عُبيد عن الأعمش عنه به (٩)

١٣- ابن خزيمة من طريق عبد الرحمن المسعودي عن جامع عنه به(١٠)

١٤- الدارمي من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به (١١)

---

(١) كتاب المغازي: باب : باب قدوم الأشعريين، وأهل اليمن رقم ٤٣٨٦

(٢) كتاب المناقب باب في ثقيف ٦/٢٢٢رقم ٣٩٤٦و قال " حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) السنن الكبرى كتاب التفسير باب " و كان عرشه على الماء "١٠/١٢٢ رقم١١١٧٦

(٤) أحمد في مسنده من حديث عمران بن حصين ٣٣/ ١٠٧

(٥) كتاب الخلق باب بدء الخلق ١٦/٣٣٣ رقم ٦١٤٠

(٦) كتاب الخلق باب بدء الخلق ١٦/٣٣٥ رقم ٦١٤٢

(٧) في الكبير من حديث عمران ١٨/ ١٠٣ رقم ٤٩٧

(٨) في الكبير من حديث عمران ١٨/ ١٠٤ رقم ٤٩٩

(٩) في الكبير من حديث عمران ١٨/ ١٠٤ رقم ٥٠٠

(١٠) في كتاب التوحيد ٢/ ٨٨٤

(١١) في الرد على الجهمية ص ٣٤ رقم ٤٠

١٥ – الفريابي من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به (١)

١٦- الفريابي من طريق أبي معاوية عن الأعمش عنه به (٢)

١٧- الروياني من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به (٣)

١٨- الطحاوي من طريق أبي معاوية عن الأعمش عنه به (٤)

١٩- الطحاوي من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به (٥)

٢٠- الآجُرِّي من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به (٦)

٢١- أبو الشيخ من طريق محمد بن خازم عن الأعمش عنه به(٧)

٢٢- ابن منده من طريق أبي حمزة عن الأعمش عنه به (٨)

٢٣- البيهقي من طريق شيبان عن الأعمش عنه به(٩)

٢٤- البيهقي من طريق عمر بن حفص عن الأعمش عنه به (١٠)

٢٥- البيهقي من طريق أبي معاوية عن الأعمش عنه به (١١)

٢٦- البيهقي من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عنه به(١٢)

---

(١) في القدر ص ٨٥ رقم ٨٢

(٢) في كتابه القدر ص ٨٦ رقم ٨٣

(٣) مسند الروياني من حديث عمران ١/ ١٣٥ رقم ١٤٠

(٤) في كتابه مشكل الآثار ١٤/٢٩٩ رقم ٥٦٢٩

(٥) في كتابه مشكل الآثار ١٤/ ١٤/ ٣٠٠ رقم ٥٦٣٠

(٦) في كتابه الشريعة ٢/٧٦٤ رقم ٣٤٤

(٧) في كتابه العظمة ٢/ ٥٧١

(٨) في كتابه التوحيد ١/٨٣ رقم ٨

(٩) السنن الكبرى كتاب مبدأ الخلق ٩/٤ رقم ١٧٧٠١

(١٠) السنن الكبرى كتاب مبدأ الخلق ٩/٤ رقم ١٧٧٠٢

(١١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٦٣) ٤٨٩

(١٢) جامع البيان تفسير هود الآية (٧) ١٥/٢٤٧ رقم ١٧٩٨٢

٢٧- الطبري من طريق عبد الرحمن المسعودي عن جامع عنه به(١)

المطلب الثاني لطائف الحديث

١- الحديث اتفق العلماء على صحته من حديث عمران بن حصين و لم أقف على أحد تكلم فيه ، يقول أبو نعيم " هذا حديث صحيح متفق عليه " (٢)

٢- انفرد البخاري(٣) بلفظ الحديث(٤) عن الكتب الستة و رواه الترمذي مختصراً(٥)

٣- مدار الحديث على " جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ " و اتفقت كل الروايات على ذلك (٦)

---

(١) السنن الكبرى كتاب مبدأ الخلق ٩/٤ رقم ١٧٧٠٢

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٥٩ ، و يقصد بالاتفاق الاتفاق على صحته لا اتفاق الشيخين .

(٣) عزا ابن كثير في تفسيره لآية هود (٧) الحديث لمسلم و قال " الحديث مخرج في الصحيحين بألفاظ كثيرة " تفسير القرآن ٤/ ٣٠٦ ، و هذا سبق قلم و وهم منه رحمه الله ، فالحديث لا يوجد في مسلم و لم ينص أحد من الأئمة السابقين أنه في مسلم و مما يدل على ذلك أنه في كتابه جامع السنن و المسانيد ٦/ ٤١٠ ، أرقام ٨٠٠٢ ، ٨٠٠٣، ٨٠٠٤ استوعب طرق الحديث عند البخاري من كل طرقه ، و الترمذي و النسائي و ذكر طريق الحديث عندهما ، و لو كان عند مسلم في نسخة عنده –مثلاً – لما أهمل ذكر طرق الحديث منه كما فعل مع البخاري و غيره ، و أيضاً ذكره في البداية ١/ ١٧ و عزاه للبخاري و حدد مواطن وجوده فيه و لم يعزه لمسلم

(٤) و هو قوله " كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» فهذا لا يوجد في الكتب الستة .

(٥) اقتصرت رواية الترمذي على قول عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، " جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبْشِرُوا يَا بَنِي تَمِيمٍ. قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ ﷺ، وَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ فَقَالَ: اقْبَلُوا البُشْرَى فَلَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا " فقط دون زيادة

(٦)راجع الحديث رقم (٥) من التخريج

٤- روى الحديث عن جامع ثلاثة : الثوري (١) و المسعودي (٢) والأعمش(٣)

٥- اختلفت رواية المسعودي"(٤) عن جامع بن شداد إلى طريقين :

الطريق الأول : طريق المسعودي عن جامع عن صفوان عن عمران بن حصين و هذا الطريق لا خلاف في صحته و صحة حديثه لأن المسعودي تابع فيه الأعمش و الثوري في رواية الحديث عن جامع بسنده إلى عمران بن حصين (٥)

الطريق الثاني : الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ عَنْ ابن عن بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ،(٦) وهنا و قع الخلاف في هذا الطريق هل هو صحيح أم معل؟

---

(١) راجع أرقام الأحاديث ٢، ٣ ، ٤ ،٥ من التخريج .

(٢) راجع أرقام الحديث ٥ ، ١٣، ٢٧ من التخريج

(٣)و عن الأعمش انتشر الحديث ، راجع أرقام ١٠،٩،٨،٧، ١١، و غيرها من التخريج

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي " صدوق اختلط قبل موته " التقريب ص ٣٩٦

(٥) رواه النسائي رقم (٥) و ابن خزيمة رقم (١٣) و الطبري رقم (٢٧) من التخريج

(٦) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين٢/ ٣٧١ رقم ٣٣٠٧و لفظه عن بريدة " دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ يَقُولُونَ: أَعْطِنَا. حَتَّى سَاءَهُ ذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ آخَرُونَ، فَقَالُوا: جِئْنَا نُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَنَسْأَلُهُ عَنْ بَدْءِ هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَكَانَ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» قَالَ: ثُمَّ أَتَاهُ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ نَاقَتَكَ قَدْ ذَهَبَتْ. قَالَ: فَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا " و

أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار(١٤/ ٣٠١) رقم٥٦٣٢ من طريق المسعودي به ، و أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٧٤) من طريق المسعودي به

القول الأول : أنه صحيح ، فقد صححه الحاكم فقال " «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» و علق الذهبي عليه فقال " صحيح "(١)
القول الثاني : أن هذا الطريق معلول حيث اختلط فيه على المسعودي ، و ممن أعل هذا الطريق الإمام أحمد فقد سأله ابنه عبد الله عن الطريقين أيهما صواب فقال " فَقَالَ الصَّوَابُ مَا رَوَاهُ الأَعْمَشُ وَسُفْيَانُ وَسَمَاعُ يَزِيدَ مِنَ الْمَسْعُودِيِّ بِآخِرِهِ"(٢)

و ممن أعل هذا لطريق أيضاً الإمام الطحاوي حيث قال " فَاخْتُلِفَ فِي الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ الْأَعْمَشُ: أَنَّهُ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ: أَنَّهُ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ. وَكَانَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا مَا قَالَهُ الْأَعْمَشُ فِيهِ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ الثَّوْرِيَّ قَدْ رَوَاهُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ ، فَوَافَقَ الْأَعْمَشَ فِيهِ، وَخَالَفَ الْمَسْعُودِيَّ "(٣) و هذا القول هو الراجح عندي لما يأتي :

أ- أن الإمام أحمد أشار إلى أن المسعودي روى الطريق الثاني الذي أرجع فيه الحديث إلى بريدة رواه في اختلاطه بينما الطريف الأول رواه أثناء تثبته فيُقدم
ب- انفراد المسعودي بالطريق الثاني – طريق بريدة – و لم يتابعه أحد عليه يقول أبو نعيم " و رواه المسعودي من حديث بريدة عن النبي ﷺ و انفرد به ""(٤)

ج- مخالفة المسعودي للثقات : الثوري و الأعمش في روايتهما للحديث

---

(١)الحاكم في المستدرك على الصحيحين٢/ ٣٧١ رقم ٣٣٠٧
(٢) العلل و معرفة الرجال للإمام أحمد ٣/ ٣٠٢ رقم ٥٣٤٥
(٣) شرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٠١) رقم ٥٦٣٢
(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٥٩

د- اتفاق حكاية هروب الناقة بين بريدة و بين عمران ، و اتفاق الرد منهما ، مما يوحي جلياً – فوق ما تقدم – من أن القصة كانت واحدة عن عمران "(١) تم و قفت على تعليل الحافظ بن حجر لرواية بريدة فقال " قلت لكنه معلول و الصواب عن صفوان عن عمران " "(٢)

٦- لم يصح هذا الحديث إلا عن عمران بن الحصين رضي الله عنه "(٣)

المبحث الثاني : سبب ورود الحديث و ما جاء في سؤال بني تميم للنبي ﷺ و فيه مطلبان

---

(١) قارن بين حديث عمران ص ٢ و بين حديث بريدة ص ٦ لتتبين لك الموافقة

(٢) اتحاف المهرة ٥٦٢/٢ رقم ٢٢٦٢

(٣) جاء هذا الحديث عن غير عمران بن حصين و هم :

الأول : بريدة الأسلمي ، و حديثه معلول كما سبق بيانه و تفصيله و كان العلامة أحمد شاكر تعرض لرواية بريدة في تحقيقه لجامع البيان للطبري ١٥/ ٢٤٨ و قال " الاختلاف في بريدة يحتاج إلى فضل تحقيق " و قد تم بفضل الله تحقيق المسألة في حديث بريدة ، الثاني : حُصيب غير منسوب ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ٤١٠/١ ، و ذكر له حديثه بمثل حديث عمران و فيه هروب الناقة و مناداة المنادي على حصيب ، و هذا الحديث تعقبه ابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٥٠٠ فقال " هذا وهم من أَبِي عمر، فإن الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، عن عمران بْن حصين، قال: أتيت رَسُول اللَّهِ ﷺ عَلَى ناقة، فعقلتها بالباب، ودخلت، فأتاه من بني أسد، فقالوا: أخبرنا عن أول هذا الأمر، فقال: " كان اللَّه، ولا شيء معه " فذكره، ولعل بعض الرواة قد صحف حصينًا بحصيب، " و بمثله ضعف الغساني الحديث بأنه تصحيف من حصين إلى حصيب ، و أقر ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/ ١٨٠ ، الثالث : نافع بن زيد الحميري ، و روايته لهذا الحديث عزاها ابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ٢٨٦ لابن شاهين ، و رواية زيد هذا ضعفها ابن حجر في الإصابة ٦/ ٣٢٠ و قال " فيه عدة مجاهيل " يقول ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤١٠ " وَلَمْ أَقِفْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَسَانِيدِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى نَظِيرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا عِمْرَانُ "

المطلب الأول : سبب ورود الحديث

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: « اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟ فقال ﷺ ....الحديث "(١)

و هناك مسائل تتعلق بسبب ورود الحديث :

المسألة الأولى : أن كثيراً ممن أخرج الحديث اقتصر فقط بذكر سبب الورود"(٢)

المسألة الثانية : اتفقت كل الروايات على هذا السبب و لم يختلفوا فيه "(٣)

المسألة الثالثة :في قول عمران " فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ " و فيه فوائد :

الأولى : بنو تميم : نسبهم إلى تميم بن مر بن أدّ بن طابخة ، يرجع نسبهم إلى عدنان و إليه ينسب التميميون من الصحابة و التابعين و إلى زماننا"(٤)

الثانية : أن زمان الحديث كان عام الوقود ، العام التاسع حين قدم بنو تميم على النبي ﷺ "(٥) وكان عددهم كما ذكره ابن كثير ما بين الثمانين إلى التسعين"(٦)

---

(١) راجع حديث الباب ص ٢

(٢) منهم البخاري أرقام (٣)(٤) و الترمذي رقم (٥)

(٣)راجع تخريج الحديث من رقم ١ : ٢٧ مقارنة مع حديث بريدة أيضاً ص ٦

(٤)الأنساب ٧٧/٣ للسمعاني ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٨٨/١ للقلقشندي

(٥) البداية و النهاية ٥١/٥، فتح الباري٩٧/٨، عمدة القاري ١٠٨/١٥

(٦)طبقات ابن سعد ٢٢٥/١ ، البداية و النهاية ٥١/٥

فإن قيل : إن بعض ألفاظ الحديث " جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ " (١) و النفر كما قال علماء اللغة " من ثلاثة إلى عشرة (٢)، وهذا يخالف ما جاء عن عددهم في كتب السير(٣) ، و الجواب : ما ذكره ابن منظور عن سيبويه و غيره أن النفر اسم لجماعة من الناس يشملهم شيء واحد كالقوم أو القبيلة و نحوها ،(٤) و عليه رواية " جاء نفر " أي : جاء قوم من بني تميم ، كما جاء في عدد من الروايات (٥)

الثالثة : المراد بقدوم بني تميم : أي قدوم وفدهم على رسول الله ﷺ(٦)

الرابعة : أن مكان الحديث كان في مسجد النبي ﷺ ففي بعض روايات الحديث "

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَاقَتِي مَعْقُولَةٌ بِالْبَابِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ(٧)

المطلب الثاني : في قوله ﷺ "اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ» و فيه مسائل :

المسألة الأولى : معنى البشارة و المراد بها في الحديث و فيها فوائد

الأولى : البشارة : هي أول ما يصل إليك من الخبر السَّار ، و عند إطلاقها لا تنصرف إلا للخير، و سميت بذلك لما يظهر على بَشْرة المبشَّر بها من السرور(٨)

---

(١) حديث البخاري رقم ٢، ٣ و ابن حبان رقم ٨

(٢) ذكره الجوهري في الصحاح ٨٣٣/٢ و ابن منظور في لسان العرب ٢٢٠/٥

(٣) طبقات ابن سعد ٢٢٥/١ ، البداية و النهاية ٥١/٥

(٤) ابن منظور في لسان العرب ٢٢٠/٥

(٥)رواية البخاري رقم ١، و ابن حبان رقم ٩

(٦) عمدة القاري ١٠٨/١٥

(٧)ابن حبان رقم ٨

(٨)تهذيب اللغة للهروي ٢٤٦/١١ ، الفروق اللغوية للعسكري ٢٦٤/١

الثانية : اتفقت الروايات على عدم ذكر نوع البشارة ، لكن هل قال ﷺ هذا من باب التمهيد لهم لإظهار اهتمامهم من عدمه ، فالمتوقع أن يسألوه عن نوع البشرى لكنهم لم يسألوا ، لكن توجد رواية يظهر منها أن النبي ﷺ ذكر لهم نوع البشارة وهي" فجعل يبشِّرهم "(١) فظاهر الرواية أنه ﷺ بشرهم بالفعل لكن لم يذكرها الراوي ،

و هذا ما أميل إليه ففي بعض الروايات " قَدْ بَشَّرْتَنَا "(٢) و هي صريحة في تحقق البشارة

الثالثة : اجتهد العلماء في نوع البشارة في الحديث ، فمنهم من جعل "ال " في البشارة للعهد ، و بنى عليه أن البشارة هي المعهودة من دخول الجنة و البعد عن النار و التفقه في الدين (٣)، و منهم من جعل " أل " للشمول والعموم و بنى على ذلك أن البشارة في كل ما يسر من أمور الدين و الدنيا و الآخرة (٤) و هو الراجح عندي، و يؤيده رواية "«فَاقْبَلُوا بِبُشْرَى اللَّهِ»(٥) فتشمل ما بشر الله به من خير الدنيا والآخرة

المسألة الثانية : في قوله " قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ،" و فيها فوائد :

الأولى : اتفقت الروايات على " قالوا " بالجمع (٦)، لكن ذكر ابن الجوزي أنه الأقرع بن حابس التميمي و تابعه عليه ابن حجر و العيني ، و علل ذلك العيني

---

(١) رواية الطبري رقم ٢٧

(٢) رواية البخاري رقم ٣ و ابن حبان رقم ٩ و الدارمي رقم ١٤ و الطحاوي رقم ١٨

(٣) منهم الطيبي و ابن حجر في فتح الباري ٦/٢٨٨و العيني في عمدة القاري ١٥/ ١٠٨

(٤)رواية ابن خزيمة رقم ١٣

(٥) رواية البخاري رقم ٣ و ابن حبان رقم ٩ و الدارمي رقم ١٤ و الطحاوي رقم ١٨

(٦)راجع الحديث من رقم ١ : ٢٧ في التخريج

بأن فيه بعض أخلاق البادية ،(١) و ذكر ابن سعد و تابعه ابن كثير أن الأقرع كان مع وفد تميم ، ثم ذكر من حاله ما يدل على جفائه و غلظته(٢)، و نسب القول لبني تميم لأنهم رضوا به ، و صدر منهم ما يدل على موافقتهم بأقوالهم ، ففي بعض الروايات " فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ وَيَقُولُونَ: أَعْطِنَا "٣)،

و أرجح عدم تعيين القائل لأنه مثلبة في حقه وابن الجوزي لم يذكر لقوله مستنداً

الثانية : قولهم" فَأَعْطِنَا " أي من مال و دل قولهم على أن جُلَّ اهْتِمَامِهِمْ كان بِشَأْنِ الدُّنْيَا وَالِاسْتِعْطَاءِ من مال أو نحوه دُونَ دِينِهِمْ يقول الملا " فَحَمَلُوا الْبِشَارَةَ عَلَى الْإِحْسَانِ الْعُرْفِيِّ، فَطَلَبُوا مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَطَاءِ الْحَسَنِ، وَهَذَا بِمُقْتَضَى مَا غَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَبِّ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ، وَغَفْلَتِهِمْ عَنِ الْمَرَاتِبِ الْآجِلَةِ، فَكُلُّ إِنَاءٍ يَتَرَشَّحُ "(٤)

الثالثة : أن بني تميم ادّعوا قبولهم البشرى ففي رواية " قَدْ قَبِلْنَا " (٥) و قد نفي عنهم ﷺ في قوله في الحديث" اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، و علل الطيبي ذلك بقوله " وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ قَالُوا: بَشَّرْتَنَا لِلتَّفَقُّهِ، وَإِنَّمَا جِئْنَا لِلِاسْتِعْطَاءِ فَأَعْطِنَا، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ"(٦)

---

(١) فتح الباري ٢٨٨/٦ ، عمدة القاري ١٥/ ١٠٨

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٦٢ البداية و النهاية لابن كثير ٤٨/٥

(٣)رواية ابن خزيمة رقم ١٣ و الطبري رقم ٢٧

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٣٢)

(٥) رواية الطبراني رقم ١١ ، و الفريابي رقم ١٦

(٦)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٣٢)

الرابعة : أن قبوله البشرى في قولهم " " قَدْ قَبِلْنَا " (١) يدل على إسلامهم و هذا نص
علي عليه شراح الحديث كابن حجر و العيني و غيرهم(٢)
الخامسة : جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ تغيّر وجهه منهم ففي رواية " فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ﷺ " (٣) و في أخرى "سَاءَهُ ذَلِكَ " (٤) و سبب ذلك
أ – تأسفاً على حالهم من كَوْنِهِمْ عَلَّقُوا آمَالَهُمْ بِعَاجِلِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَقَدَّمُوا ذَلِكَ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ الْمُوَصِّلِ إِلَى ثَوَابِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمِ اهْتِمَامَهُمْ بِالسُّؤَالِ عَنْ حَقَائِقِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ، وَالِاعْتِنَاءِ بِضَبْطِهَا، وَالسُّؤَالِ عَنْ وَاجِبَاتِهَا وَالْمُوَصِّلَاتِ إِلَيْهَا " (٥)
ب– إلحاحهم في طلب العطاء و تنازعهم في الحديث مع رسول الله ﷺ ففي رواية فجعل يبشِّرهم ويقولون: أعطنا! حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦)
ج – أنه ﷺ لم يكن عنده من المال ما يتألف به قلوبهم ذكره ابن حجر(٧) و لا مانع من أن تكون هذه الأسباب جميعها سبباً في ذلك
السادسة : كان موقف الرسول ﷺ من بني تميم بعدما لم يقبلوا البشرى أن أعرض عنهم وتركهم ففي رواية " فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ "" (٨) فلما وجدوا ذلك

---

(١)رواية الطبراني رقم ١١ ، و الفريابي رقم ١٦
(٢) فتح الباري ٢٨٨/٦ ، عمدة القاري ١١/٢٥ ، مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٦٣٢)
(٣)رواية البخاري رقم ٢، ٤ و الترمذي رقم ٥
(٤)رواية ابن خزيمة رقم ١٣ ، و الطبراني رقم ٢٧
(٥)مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٦٣٢)
(٦) رواية الطبري رقم ٢٧ ، ابن خزيمة رقم ١٣
(٧) فتح الباري ٦/ ٢٨٨
(٨)رواية الطبراني رقم ١١

الإعراض بسبب فعلهم خرجوا من عنده صلى الله عليه وسلم ففي رواية " ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ "(١)

فإن قيل ألا يُعد ذلك من مثالب بني تميم و يقع اللوم عليهم بذلك ؟

و الجواب : أن بعض السلف و منهم قتادة أوقع عليهم اللوم بذلك بل و أنشد فيهم شعراً ، لكن رد عليهم ابن كثير بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ، سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِيهِمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي، عَلَى الدَّجَّالِ»، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

«هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»(٢)

المسألة الثالثة: في قوله: ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، " و فيها فوائد :

الأولى: اتفقت الروايات على أن هؤلاء القوم من أهل اليمن و لم تأت رواية لتحديد أي قوم هم من أهل اليمن ، فاجتهد العلماء في ذلك على قولين :

الأول: أنهم وفد الأشعريين و هو قول العيني الثاني : أنهم وفد حمير ظَهَرَ لِي أَنَّ الْمُرَادَ بِأَهْلِ الْيَمَنِ هُنَا نَافِعُ بْنُ زَيْدٍ الْحِمْيَرِيُّ مَعَ مَنْ وَفَدَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ حِمْيَرَ ، فإن قدوم الأشعريين مع أبي موسى كان في سنة سبع عند فتح خيبر ، و

---

(١) رواية ابن خزيمة رقم ١٣ ، الطبري ٢٧

(٢) البخاري كتاب المغازي باب (٦٨) ٦٨/٥ رقم ٤٣٦٦ و علق ابن حجر على الحديث في الفتح ١٧٣/٥ فقال " وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِبَنِي تَمِيمٍ " البداية و النهاية٥٥/٥

قدوم وفد حمير كان سنة تسع و من أجل هذا اجتمعوا مع بني تميم (١) وهو ما أرجحه

الثانية: أنه ﷺ لم يحمله الغضب من بني تميم على أن يمتنع من عرض البشرى مرة أخرى على أهل اليمن، فهو صاحب دعوة يبذل كل ما يملكه ويعلمه من الخير للناس

الثالثة : رغَّب النبي ﷺ أهل اليمن في المسارعة إلى قبول البشرى عندما حثهم على ألا يكونوا كبني تميم ، فتسارع اليمنيون بقبول البشرى منه ﷺ

الرابعة : قولهم " قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ " يدل على أن نِيَّتُهُمْ صَّالِحَةُ خَالِصَةً لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ لَا لِلطَّمَعِ فِي الدُّنْيَا فحَصَلَ لَهُمُ الْبِشَارَةُ وَالْقَبُولُ وَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَالْوُصُولُ، وَحُرِمَ الْأَوَّلُونَ عَنِ الْبِشَارَةِ، بَلْ وَعَنِ الْعَطَاءِ فِي الْحَقَارَةِ، فَالْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ هِيَ الْمُوَصِّلَةُ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْغَالِيَةِ،(٢)

المسألة الرابعة : في قوله " جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ " و فيها فوائد،

الفائدة الأولى : بتتبع الروايات و جدنا سبب مجيء أهل اليمن ثلاثة أشياء :

الأول : السلام على رسول الله ﷺ ففي رواية " جئنا نسلّم على رسول الله ﷺ "" (٣)

و في هذا دلالة على تعظيم رسول الله ﷺ في قلوبهم

الثاني: التفقه في الدين ففي رواية " جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ" (٤) و في ذلك دلالة على حبهم للدين و التفقه فيه والرغبة في العلم النافع ليصير منهم العلماء و الفقهاء

---

(١)فتح الباري ٢٨٨/٦ ، ٨/ ٩٧ ، عمدة القاري١٥/ ١٠٨، البداية و النهاية ٢٣٤/٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٣٢)

(٣) الطبري رقم ٢٧،

(٤) البخاري رقم ١ و ابن حبان رقم ٨ و ابن خزيمة رقم ١٣ ، و الدارمي ١٤

الثالث :معرفة أول الخلق كيف كان_ففي رواية وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ؛"(١)

الفائدة الثانية : اختلف العلماء في مراد أهل اليمن بأول الأمر، على أقوال :

الأول: السؤال عن أول أمر الخلق و مبدأ العالم من جنس المخلوقات ف" الأمر" هو الْأَحْوَال الْمَاضِيَة

الْمُتَقَدّمَة من بَدء الْخلق ف" ما " في قوله " ما كان" اسْتِفْهَامِيَّةٌ أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ خلق أَولا قبلٍ خلق السَّمَاء وَالْأَرْض، فكان الجواب " كَانَ الله وَلم يكن شيءٌ قَبْلَه، وَكَانَ عَرْشه على المَاء ثمَّ خلق السَّمَاوَات ..الحديث "فالعرش وَالْمَاء خلقا قبل السَّمَاوَات والأَرضِين هو قول ابن المهلب والطِّيبِيُّ و قال ابن حجر " وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا سَأَلُوا عَنْ أَوَّلِ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ (٢)

الثاني: أن السؤال عن أول ما خُلق من هذا العالم المشهود الحاضر المرئي ، الذي خلقه الله تعالى في ستة أيام ، فكان الجواب : أول ما خلق منه :

السماوات و الأرض وهو اختيار ابن كثير و ابن حجر والعيني(٣) و انتصر له ابن تيمية من وجوه:

أولا: أن قول أهل اليمن "جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر" إما أن يكون الأمر المشار إليه هذا العالم، أو جنس المخلوقات ، فإن كان المراد هو الأول كان النبي ﷺ قد أجابهم ، وإن كان المراد هو الثاني لم يكن قد أجابهم لأنه لم يذكر إلا خلق السموات والأرض ، وهذا لا يجوز في حق رسول الله ﷺ بل

(١) البخاري رقم ١، أحمد رقم ٧،ابن حبان رقم ٩ ، و الطبراني رقم ١١

(٢)مرقاة المفاتيح ٩/ ٣٦٣٢ فتح الباري٦/٨٨ عمدة القاري ٢٥/١٠٨

(٣)مرقاة المفاتيح٩/٣٦٣٢ فتح الباري٦/٨٨ عمدة القاري ٢٥/٠٨ البداية و النهاية١/١٠

هو منزه عنه، فمن هذا نستدل على أن قوله "جئناك لنسألك عن أول هذا الأمر" كان مرادهم خلق هذا العالم.

ثانيا: أن قولهم "هذا الأمر" إشارة إلى حاضر موجود، ولو سألوه عن أول الخلق لم يشيروا إليه بهذا، لأنه أمر لم يشهدوه ولم يعلموه أيضا، والرسول لم يخبرهم عنه، فعلم أن سؤالهم كان عن أول هذا العالم المشهود.

ثالثا: أن قوله: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء" ليس في هذا ذكر لأول المخلوقات مطلقا، بل ولا فيه الإخبار بخلق العرش والماء، وإن كان ذلك كله مخلوقا ، ولكنه في جوابه لأهل اليمن ذكر ما يدل على بدء خلق السموات والأرض وما بينهما، (١)،

و الراجح عندي: القول الأول ، أنهم سألوا عن بدء الخلق مطلقاً ،و دليل ذلك أن البخاري خرج الحديث في البخاري كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} و لفظه "، فَأَخَذَ ﷺ يُحَدِّثُ بَدْءَ الخَلْقِ وَالعَرْشِ (٢)،

و هذا نصٌ قاطع في محل النزاع ، و به يرد على كل استنتاجات ابن تيمية رحمه الله

الفائدة الثالثة : يقول ابن حجر " وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ السُّؤَالِ عَنْ مَبْدَءِ الْأَشْيَاءِ وَالْبَحْثُ عَنْ ذَلِكَ وَجَوَازُ جَوَابِ الْعَالِمِ بِمَا يَسْتَحْضِرُهُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهِ الْكَفُّ إِنْ خَشِيَ عَلَى السَّائِلِ مَا يَدْخُلُ عَلَى مُعْتَقَدِهِ وَفِيهِ أَنَّ جِنْسَ الزَّمَانِ وَنَوْعَهُ حَادِثٌ وَأَنَّ اللَّهَ أَوْجَدَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ لَا عَنْ عَجْزٍ عَنْ ذَلِكَ بَلْ مَعَ الْقُدْرَةِ وَاسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ سُؤَالِ الْأَشْعَرِيِّينَ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْكَلَامَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَحُدُوثِ الْعِلْمِ

---

(١)مجموع الفتاوى": ١٨/ ٢١٣ ، ٢/ ٢٧٢ بتصرف،

(٢)البخاري الرواية رقم (٢)

مُسْتَمِرَّانِ فِي ذُرِّيَّتِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ أَشَارَ إِلَى ذَلِك بن عَسَاكِر(١)،

(١) فتح الباري ٦/ ٢٩٠ ، و عمدة القاري ١٥/ ١٠٩

المبحث الثالث في قوله ﷺ " «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، "و فيه مطلبان

المطلب الأول : في قوله " كان الله "

و فيه مسائل :

المسألة الأولى : اتفقت الروايات على هذا اللفظ " كان الله " (١)

المسألة الثانية : " كان " من الْأَفْعَال النَّاقِصَة تدل على الزَّمَان الْمَاضِي قريباً أو بعيداً.

من غير تعرض لزواله فِي الْحَال أَو لَا زَوَاله ، وَبِهَذَا يفرق عَن " صار " فان مَعْنَاهُ الِانْتِقَال من حَال إِلَى حَال وَلِهَذَا يجوز أَن يُقَال " كَانَ الله " وَلَا يجوز " صَار الله "(٢)،

و من معانيها الأزلية والأبدية " وهو المراد بالحديث ، و قد نص على ذلك علماء اللغة و الحديث و غيرهم (٣) وهذا المعنى يتخرج عليه كل أسماء الله وصفاته الذاتية المقترنة بـ " كان " قال تعالى " إن الله كان غفوراً رحيماً "(٤) ، أي كان وما يزال وسيزال على جهة الأزلية ،فهذا المعنى مرتبط بواجد الوجود سبحانه وتعالى (٥)

---

(١) راجع التخريج من الحديث رقم ١ : رقم ٢٧

(٢) ذكره العيني في عمدة القاري ١/ ١٣ ، ٣/٢٥٥

(٣)الكليات للكفوي ص٧٤٨ ،عمدة القاري١/ ١٣فتح الباري ٦/٢٨٩،المفردات ص٥١٢

(٤) سورة النساء من الآية ٤٣

(٥)راجع الكليات للكفوي ص ٧٤٨ ، المنهاج للنووى ٣/٢٦٤

المسألة الثالثة : اسم الجلالة "الله " علم على ذاته العلية المخصوص بالعبادة والألوهية الحقة وهذا الاسم يُوصف فيقال " الله الحليم .."ولا يُوصف به وهو الذي تجري عليه جميع صفاته العُلَى(١).

المسألة الرابعة : قوله " كان الله " هل هي متعلقة بما بعدها أم مستقلة ؟ أقوال :

القول الأول: للطيبي أن "كان الله " جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما بعدها لكان " كان " هنا معناها "

الأولية الأزلية ، و كان في الجملة التي بعدها "و كان عرشه " لأولية الحدوث بعد العدم ، فلا يجوز العطف لما بنيهما من المنافاة (١)

---

(١)البحر والمحيط لأبي حيان ٢/١ ، الكليات للكفوي ص ١٧٢ لسان العرب ٢٠٠/١ .و قد اختلف العلماء في اسم الجلالة هل هو مشتق أم لا ؟ فذهب الخليل و الزجاج و محمد بن الحسن : أنه غير مشتق و هو رأي الأكثرين ، و ذهب غيرهم إلى أنه مشتق و اختلفوا في اشتقاقه إلى آراء متعددة ، و من خصائص اسم الجلالة " الله " :الأولى: أنه اسم لم يسم به أحد غير الله تعالى قال تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} سورة مريم (٦٥).الثانية أنه هو الاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العليا فإنك إذا دعوت الله بـ " الرحمن " فقد و صفته بالرحمة أو بـ " القهار " فقد و صفته بالقهر أو بـ " العليم " فقد وصفته بالعلم لكن إذا دعوته بـ " الله " فقد وصفته بجميع صفات الجلال و الجمال و الكمال .الثالثة :أنه هو الاسم المخصص في النطق بالشهادتين فينتقل الإنسان إلى الإسلام بنطق هذا الاسم الرابعة :أن اسم الجلالة " الله " لو حذفت الألف منه بقي " لله "و هو مختص به تعالى {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} سورة الفتح(٧) ، وإذا حذفت الألف و اللام بقي " له " و هي تختص به تعالى قال تعالى {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} سورة الزمر(٦٣) ، و إذا حذفت الألف و اللامين بقي " هو " و الواو زائدة و هي تختص به تعالى قال تعالى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.الإخلاص (١) راجع البحر والمحيط لأبي حيان ٣/١ ،تفسير الكبير للفخر الرازي ١٤٩/١

القول الثاني: للكرماني أن عطف الجملة الثانية" و كان عرشه " على الأولي " كان الله " لا يضر لأن الواو بمعنى ثم ، و لأن " كان " الأولى للأزل ،و الثانية للحدوث بعد العدم فلا التباس بينهما، و لأنه لا يلزم من العطف الثبوت بل يكفي الاجتماع في أصل الإخبار عن الوجود، والفرق بين وجود الله و وجود العرش معلوم

و هذا القول أولى بالقبول فقد رجحه ابن حجر و العيني و القسطلاني و غيرهم (٢)

المسألة الخامسة : معنى " كان الله " أي : كان تعالى في الأزل منفرداً متوحداً (٣)

(١) شرح المشكاة للطيبي ١١/ ٣٥٩٠

(٢) فتح الباري ٤١٠/١٣ ، عمدة القاري١١٣/٢٥، إرشاد الساري ٢٥٠/٥

(٣) عمدة القاري١١٣/٢٥، إرشاد الساري ٢٥٠/٥، مرقاة المصابيح ٣٦٠٠/٩

المطلب الثاني : قوله " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ "

المسألة الأولى : اختلفت الروايات في ورود لفظ هذه الجملة فيها :

الرواية الأولى " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " و قد جاءت في ثمانية روايات " (١)

الرواية الثانية " وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ " جاءت في أربع روايات (٢)

الرواية الثالثة : " وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَهُ " جاءت في رواية واحدة (٣)

الرواية الرابعة :" وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ " جاءت في أربع روايات (٤)

الرواية الخامسة :" قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ " جاءت في خمس روايات (٥)

الرواية السادسة " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ "جاءت روايتان _(٦)

الرواية السابعة : " و لم يكن شيء معه " ذكرها ابن تيمية ، فعزاها إلى صحيح البخاري(٧) سهواً ثم تداركها رحمه الله في موضع آخر فقال " وفي

---

(١) الأولى : رواية الباب ، الثانية الطبري رقم ١١، الثالثة : الطبري رقم ١٢، الرابعة : الدارمي رقم ١٤، الخامسة :الروياني رقم ١٧ السادسة :الطحاوي رقم١٩،السابعة : الآجري رقم٢٠ ، الثامنة : البيهقي رقم٢٤

(٢)الأولى: النسائي رقم ٦، الثانية الطبري رقم ١٠،الثالثة :ابن خزيمة رقم ١٣ الرابعة : الطبري رقم ٢٧

(٣) ابن حبان رقم ٨

(٤)الأولى: البخاري رقم١ الثانية ابن حبان رقم ٩،الثالثة :ابن منده رقم ٢٢ الرابعة : البيهقي رقم ٢٣

(٥)الأولى: أحمد رقم ٧، الثانية الفريابي رقم ١٦، ،الثالثة :الطحاوي رقم ١٨ الرابعة : أبو الشيخ رقم ٢١ , الخامسة : البيهقي رقم ٢٥

(٦)الأولى: الفريابي رقم ١٥ ، الثانية الآجري رقم ٢٠

(٧) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢١٦ ، و قد تابعه على السهو ابن القيم في مدارج السالكين ٣٦٣/٣ فنسب الحديث للبخاري و لم يتنبه إلى أن شيخه ابن تيمية أشار إلى عدم ورودها في الصحيح .

رواية صحيحة لغيره و لم يكن شيء معه "(١) و تابعه ابن حجر فذكرها أثناء ذكره لكلام ابن تيمية و نفى وجودها في الصحيح و لم يذكر تخريجها(٢) و كذلك فعل الإمام الذهبي فذكرها و لم يذكر من خرجها (٣) ، و قد تتبعت هذه اللفظة في جميع الكتب المسندة من مصادر الحديث و التفسير و التاريخ فلم أقف عليها ، لكن استدلال إمامين كبيرين بها كابن تيمية و الذهبي بل و تصحيح ابن تيمية لها و عدم تعقب الحافظ ابن حجر عليها يؤكد أنها لفظه ثابتة عند هؤلاء اطلعوا عليها من مصادر حديثية لم نقف عليها نحن .

المسألة الثانية : أثبت ابن تيمية (٤) و ابن حجر (٥) أن القصة متحدة في زمانها و أشخاصها و مجلسها و وقائعها ، فدل هذا على أن النبي ﷺ قال لفظاً واحداً و الباقي روي بالمعنى .

المسألة الثالثة : حصر ابن تيمية و تابعه ابن القيم و ابن حجر (٦) ألفاظ الحديث في ثلاثة ألفاظ رئيس ، الأول : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " الثاني :" وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ " الثالث:" و لم يكن شيء معه " و قد تقدم أن ألفاظ الحديث أكثر من ذلك

المسالة الرابعة : اختلفوا أي ألفاظ الحديث رويت باللفظ و أيها روي بالمعنى : القول الأول لابن تيمية و تابعه ابن القيم (٧) أن اللفظ الثابت عن النبي ﷺ هو :" وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ " و اللفظان الآخران رويا بالمعنى ، و

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥٥١ ، و الرسالة العرشية ٨/١ .

(٢) فتح الباري ٢٨٩/٦ .

(٣) كتاب العرش للذهبي ١٧٢/٢

(٤) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢١٦

(٥) فتح الباري ٦/ ٢٨٩

(٦) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢١٦ ، مدارج السالكين ٣٦٣/٣ فتح الباري ٢٨٩/٦ ،

(٧) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢١٦ ، مدارج السالكين ٣٦٣/٣

استدلا على ذلك بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ في دعائه عند النوم" أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ "(١)

يقول ابن تيمية " فقوله: "«أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ» مطابق لقوله: " «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ" فإذا ثبت في هذا الحديث لفظ " القَبْل " فقد ثبت أن النبي ﷺ قاله ، و اللفظان الآخران لم يثبت و احد منهما أبداً ،و أن أكثر أهل الحديث إنما يروونه بهذا اللفظ كالحميدي و البغوي وابن الأثير " و بنحوه قال تلميذه ابن القيم (٢)

القول الثاني : لابن حجر : أن أثبت الروايات هي " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " لما يأتي :

أ- لأنها تنفي توهم المعية و تنفي توهم القَبْلة لأي شيء غير الله سبحانه و تعالى ، بخلاف لفظ " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ " فهي تنفي توهم القَبْلة فقط يقول ابن حجر " هذه الرواية – وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ – أصرح في العدم ، و فيها دلالة على أن أنه لم يكن شيء غيره تعالى ، لا الماء و لا العرش و لا غيرهما لأن كل ذلك غير الله "(٣)

ب- أن ترجيح هذه الرواية يمكن الجمع بينها و بين باقي الروايات ، فرواية وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ" يكون معناها : لم يكن شيء غيره قبله ، فنفت توهم القبلية ، وزادت عليها رواية " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " نفي توهم المعية ، و رواية " و لم يكن شيء معه " هي بمعنى " غيره " لأنها تنفي توهم المعية و

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر و الدعاء باب ما يقول إذا أخذ مضجعه ٧٧/٨

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/ ٢٧٣ ، ١٨/ ٢١٦ ،دارج السالكين ٣٦٣/٣

(٣) فتح الباري ٦/ ٢٨٨ ، ٤١٠/١٣ ، و قد سبق الحافظ في تقرير هذا الكلام الإمام البيهقي في كتابه الأسماء و الصفات ٢٣٤/٢، و كلامه يوحي بتقديم هذا اللفظ على غيره و إن لم يصرح بذلك .

توهم القبلية ، يقول ابن حجر " وَوَقَفْتُ فِي كَلَامٍ لابن تيمية عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ يُرَجِّحُ الرِّوَايَةَ الَّتِي فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى غَيْرِهَا مَعَ أَنَّ قَضِيَّةَ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ تَقْتَضِي حَمْلَ هَذِهِ عَلَى الَّتِي فِي بَدْءِ الْخَلْقِ لَا الْعَكْسَ وَالْجَمْعُ يُقَدَّمُ عَلَى التَّرْجِيحِ بِالِاتِّفَاقِ"(١)

ج- أن هذا اللفظ أصرح في الدلالة على حدوث العالم لنفي المعية و القبلية لأي شيء غير الله سبحانه ، يقول ابن حجر " وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ لِأَنَّ قَوْلَهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا(٢)

و أقول: الراجح عندي هو ما اختاره الحافظ ابن حجر و ذلك لما يأتي :

أولاً: كثرة الطرق لرواية " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " إذ بلغت ثلاثة عشر طريقاً بينما رواية " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ" تسعة طرق ، فيترجح بذلك الرواية الأولى من حيث عدد من رواها

و بهذا يرد على ابن تيمية في قوله " و أن أكثر أهل الحديث إنما يروونه بهذا اللفظ " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ "

ثانياً : من ناحية المعنى فلفظ " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " أعم و أشمل كما سبق بيانه

ثالثاً : ترجيح ما اختاره ابن تيمية لتوافقه مع حديث "«أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ» ترجيح بلا مرجح ، لأن ما اختاره ابن حجر أكثر عدد ، هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى فإن لفظ "«أَنْتَ الْأَوَّلُ " بمعنى " وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ " لأن الأولية تنفي المعية و تنفي القبلية أيضاً ، و إنما جاء بعدها " فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»

---

(١) فتح الباري ٤١٠/١٣

(٢) فتح الباري ٤١٠/١٣

لتأكيد نفي القبلية ، فرواية مسلم في حقيقتها تؤيد ما اختاره ابن حجر
يقول البيهقي رحمه الله " وقوله: "وكان الله عز وجل ولم يكن شيء غيره" يدل على أنه لم يكن غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله تعالى(١)

و قال ابن تيمية" الذي نطقت به الكتب والرسل أن الله خالق كل شيء فما سوى الله من الأفلاك والملائكة
وغير ذلك مخلوق ومحدث كائن بعد أن لم يكن مسبوق بعدم نفسه وليس مع الله شيء قديم بقدمه في العالم لا أفلاك ولا ملائكة " (٢) و هذا مما لا خلاف فيه بين أحد من المسلمين من أهل القبلة

المسألة الخامسة : سؤال الصحابة عن الله قبل خلقه للخلق ، فقد قال أبو داود الطيالسي: حَدَّثَنَا : حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يُسْأَلَ فَإِذَا سَأَلَهُ أَبُو رَزِينٍ أَعْجَبَهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ(٣) و في هذا الحديث عدة أمور :

---

(١)في "الأسماء والصفات" ص ٣٧٥

(٢)الصفدية (١/ ١٤)

(٣)أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٤١٨) ح١١٨٩، و اللفظ له ، و الترمذي في كتاب التفسير باب و من سورة هود (٥/ ١٣٩) ح ٣١٠٩ و قال " وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ." و ابن ماجة في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية (١/ ٦٤) ح ١٨٢، و أحمد في مسنده (٢٦/ ١٠٨) ح ١٦١٨٨ من حديث أَبِي رَزِينٍ ، و ابن حبان في صحيحه كتاب بدء الخلق ،(١٤/ ٨) ح ٦١٤٠ و الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٠٧) ح٤٦٨ كلهم من طريق حماد بن سلمة بمثله
دراسة الإسناد

الأول: أن الصحابة لم يسألوا عن حقيقة الذات الإلاهية لأنهم يعلمون أنها فوق مدارك العقول و الأفهام

و في ذلك يقول ابن عباس" تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تَفَكَّرُوا وَلَا تُفَكِّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى،(١)

١- حماد بن سلمة بن دينار روى عن يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ و غيره و عنه الطيالسي و غيره ثقة عابد ت ١٧٦هـ تهذيب الكمال ٢٥٣/٧، التقريب ١٨٧

٢- يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ العامري القرشي روى عن و كيع بن حدس و غيره و عنه حماد بن سلمة و غيره ، ثقة ت ١٣٠هـ تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٢٢، التقريب ص ٦٨٣

٣- و كيع بن وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ قال الترمذي" هَكَذَا يَقُولُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: وَكِيعُ بْنُ حُدُسٍ، وَيَقُولُ شُعْبَةُ وَأَبُو عَوَانَةَ وَهُشَيْمٌ: وَكِيعُ بْنُ عُدُسٍ" روى عن عمه أبي رزين العقيلي ، رَوَى عَنه: يَعْلَى بْن عطاء العامري ، ذكره أحمد و أبو حاتم و سكتا عنه و ذكره ابن حبان في الثقات ، و قال ابن القطان مجهول الحال ، و قال ابن حجر " مقبول" و قال الذهبي " لا يعرف" معرفة العلل ١/ ٢٩٨، الجرح و التعديل ٩/ ٤٣٣، الثقات ٥/ ٤٥٦، تهذيب التهذيب ١١/ ١٣١ ، ميزان الاعتدال ٣٣١/٦، التقريب ص٦٥١

٥- لقيط بْن عَامِر بْن صبرة ، أَبُو رزين العقيلي، صحابي روى عن ﷺ و عنه و كيع الإصابة ٣٣٦/٤

الحكم على الحديث

إسناده حسن ، فيه و كيع بن عدس قال ابن القطان مجهول ، لكن حسنه الترمذي و تحسينه يعتبر تعديلاً ضمنياً قال ابن حجر " قال في ترجمة عبد الله بن عبيد الديلي " أخرج حديثه أيضا الترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن غريب وهذا يقتضي أنه عنده صدوق معروف " تعجيل المنفعة(١/ ٧٥١) ثم وقفت على تحسين الذهبي له في كتاب العرش ٢٨/٢

(١)أخرجه عنه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٦) ح ٦١٨ و أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ، (١/ ٢١٢) و قال ابن حجر فتح الباري (١٣/ ٣٨٣) وَحَدِيث بن عَبَّاسٍ تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ مَوْقُوفٌ وَسَنَدُهُ جَيِّدٌ " و قد جاء مرفوعاً بأسانيد كلها ضعيفة كما قال السخاوي ،المقاصد الحسنة (١/ ٢٦٣) منها حديث ابن عمر مرفوعاً

و لفظه «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ» أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٢٥٠)ح ٦٣١٩ و اللفظ له ، و أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١/ ٢١٠) و البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٢) ح١١٩ كلهم من طريق الْوَازِعِ بْنِ نَافِعٍ، ، و الحديث قال عنه البيهقي " فيه نظر " و قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص: ١٧٩٩) قلت فِيهِ الْوَازِع بن نَافِع مَتْرُوك.، و تابعه في مجمع الزوائد (١/ ٨١) فقال "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ الْوَازِعُ بْنُ نَافِعٍ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.، و ذكر الطبراني أن الوازع تفرد به ،

و منها حديث ابن عباس مرفوعاً و لفظه " تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ" أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٦)٦١٨ و اللفظ له و أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١/ ٢١٣) و زاد " فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدُرُونَ قَدْرَهَ» قال العراقي في تخريج (٦/ ٢٤٥٧) إسناده ضعيف

و منها حديث أبي ذر مرفوعاً و لفظه "«تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا» أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١/ ٢١٤) و ضعفه السيوطي في الجامع الصغير ص ١١١، و مجاهد بن جبر لم يسمع من أبي ذر ، قال أبو حاتم " مجاهد عن أبي ذر مرسل / مراسيل أبي زرعة ص ٥٣٣

و منها حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ مرفوعاً " «لَا تُفَكِّرُوا فِي اللهِ وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ" أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٦٦) و اللفظ له ، و أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١/ ٢١٣) و الحديث ضعفه السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٣٦١ و أقول و الحديث فيه شهر بن حوشب قال أبو حاتم لم يلق عبد الله بن سلام مراسيل أبي زرعة الرازي ص ٢٧٤

و منها حديث أبي هريرة مرفوعاً و لفظه " تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" أخرجه ابن النجار في ذيل

تاريخ بغداد ١٨/ ٣١١، و ضعفه ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣١١ و الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٢٨٩

فثبت من كل هذا أن المرفوع حديث ضعيف من كل طرقه ، و حديث أبي ذر حسنه الألباني فقال" وهذا إسناد حسن في الشواهد، وعبد الجليل وشهر بن حوشب صدوقان سيئا الحفظ.

و كان من أصول اعتقاد المسلم ترك التفكير في ذاته تعالى يقول نعيم بن حماد" حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتْرُكَ التَّفَكُّرَ فِي الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " (١)

و السر في ذلك أَنَّ الْبَابَ إِلَى وُصُولِ مَعْرِفَةِ كُنْهِ الذَّاتِ مَرْدُودٌ، وَالطَّرِيقُ إِلَى كُنْهِ الصِّفَاتِ مَسْدُودٌ، فالْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ وَالْبَحْثُ عَنْ سِرِّ ذَاتِ الرَّبِّ إِشْرَاكٌ(٢)

وإنما نهى عن التفكر في ذاته تعالى لأنه لا تفكر إلا فيما يعرفه العبد ويعلمه وقد تعالى الله سبحانه أن يحاط به علماً، ومن كلام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: "من تفكر في الخالق ألحد، ومن تفكر في المخلوق وحّد"(٣)

الثاني: أن السؤال" أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ" (٤) ليست عن المكان لأنه مخلوق من خلق الله ، و لكن عما كان عليه تعالى قبل أن يخلق الخلق كما ذكره ابن قتيبة (٥) و يؤيد هذا قول ابن حبان" ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا كَانَ اللَّهُ فِيهِ قَبْلَ خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (٦)

وسائر الرجال ثقات" السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٩٦، قلت : و فات الشيخ رحمه الله الوقوف على قول أبي حاتم أن شهراً لم يلق عبد الله بن سلام :

(١)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٨٢) لهبة الله الطبري

(٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري (١/ ٢٧٩)

(٣)التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٥/ ٨١)

(٤)في رواية الترمذي وابن ماجة و أحمد" أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ" و هو مناسب لجوابه ﷺ

(٥)تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٢٣)

(٦)صحيح ابن حبان (١٤/ ٩)

و ذكر ابن الأثير و الْهَرَوِيُّ و الطيبي أن معناه على تقدير محذوف ،و تقديره" أين كان عرش ربنا؟"(١) و هذا خروج عن سياق الحديث يأباه جواب النبي ﷺ

الثالث" قوله " كَانَ فِي عَمَاءٍ" ليس المراد " في الظرفية" بل المراد بها الفوقية يقول البيهقي " وَيُرِيدُ بِقَوْلِهِ «فِي عَمَاءٍ» أَيْ: فَوْقَ سَحَابٍ مُدْبِرًا لَهُ وَعَالِيًا عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: ١٦] يَعْنِي: مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ(٢) و قد اختلفوا في معنى " عَمَاءٍ"

القول الأول: حكاه الترمذي عن يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: العَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ. (٣)

القول الثاني: لابن حبان" عَمَاءٍ " من العمى أي عدم المعرفة و المعنى "أَنَّ الْخَلْقَ لَا يَعْرِفُونَ خَالِقَهُمْ مِنْ حَيْثُ
هُمْ، إِذْ كَانَ ولا زمان ولا مكان، ومن لا يُعْرَفْ لَهُ زَمَانٌ، وَلَا مَكَانٌ، وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَالِقُهَا؛ كَانَ مَعْرِفَةُ
الْخَلْقِ إِيَّاهُ، كَأَنَّهُ كَانَ فِي عَمَاءٍ عَنْ عِلْمِ الْخَلْقِ، لَا أَنَّ اللَّهَ كَانَ فِي عَمَاءٍ، إِذْ هذا الوصف شبيه بأوصاف المخلوقين " (٤) وَكَأَنَّهُ قَالَ فِي جَوَابِهِ: كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ. (٥)

القول الثالث" لِلْأَصْمَعِيُّ: الْعَمَاءُ: السَّحَابُ الْأَبْيَضُ(١) و المعنى: أَيْ: فَوْقَ سَحَابٍ مُدْبِرًا لَهُ وَعَالِيًا عَلَيْهِ،(٢)

---

(١)شرح المشكاة للطيبي (١١/ ٣٦٢٣)

(٢)الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٥)

(٣)سنن الترمذي ، (٥/ ١٣٩)

(٤)صحيح ابن حبان (١٤/ ١٠)

(٥)الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٥)

و هذا المعنى حكاه أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ. و هو المعروف فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِنْ كَانَ الْحَرْفُ مَمْدُودًا.

وَإِنْ كَانَ مَقْصُورًا ، فَإِنَّهُ أَرَادَ كَانَ فِي عَمًى عَنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ، كَمَا تَقُولُ: "عَمِيتُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَأَنَا أَعْمَى عَنْهُ عَمًى" إِذَا أُشْكِلَ عَلَيْكَ فَلَمْ تَعْرِفْهُ وَلَمْ تَعْرِفْ جِهَتَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَفِيَ عَلَيْكَ، فَهُوَ فِي عَمًى عَنْكَ. (٣)

القول الرابع: الإيمان به دون تأويل و به وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ وأَبُو عُبَيْدٍ إِنَّمَا تَأَوَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَعْقُولِ عَنْهُمْ وَإِلَّا فَلَا نَدْرِي كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَاءُ" (٤)

القول الخامس للقاضي عياض" الْعَمَاءُ " هو كلُّ أمر لا تُدركه عُقُول بني آدم، ولا يبلُغ كنهه الوصف والْفِطَنُ و اختاره الطيبي (٥)

و الراجح عندي القول الأول: لأنه يتوافق مع حديث عمران و لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْعَمَاءِ شَيْئًا مَوْجُودًا غَيْرَ اللَّهِ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَقُولُ مِنْ قَبِيلِ الْخَلْقِ وَالْكَلَامُ مَفْرُوضٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بَلِ الْمُرَادُ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ رِوَايَةُ كَانَ فِي عَمًى بِالْقَصْرِ فَإِنَّ الْعَمَى بِالْقَصْرِ مُفَسَّرٌ به ، و عليه فَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَهُوَ حِينَئِذٍ فِي مَعْنَى حَدِيثِ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ(٦)

وَيَكُونُ حَاصِلُ الْجَوَابِ الْإِرْشَادَ إِلَى عَدَمِ الْمَكَانِ وَإِلَى أَنَّهُ لَا أَيْنَ ثَمَّةَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ هُوَ فِي مَكَانٍ(٧)

---

(١)العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (١/ ٣٦٣)

(٢)الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٥)

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٢٣)

(٤)شرح المشكاة للطيبي (١١/ ٣٦٢٣) تحفة الأحوذي (٨/ ٤٢٠)

(٥) مشارق الأنوار للقاضي عياض ٣٦/٤، شرح المشكاة للطيبي (١١/ ٣٦٢٣)

(٦)تحفة الأحوذي (٨/ ٤٢١) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٦١)

(٧)حاشية السندي على ابن ماجة ١/ ٧٨

الأمر الرابع: قوله " مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ" وَمَا فِيمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ نَافِيَةٌ لَا مَوْصُولَةٌ وَكَذَا قَوْلُهُ وَمَا فَوْقَهُ(١)

و المعنى: . أَيْ: لَيْسَ فَوْقَ الْعَمَى الَّذِي لَا شَيْءَ مَوْجُودٌ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ غَيْرَ شَيْءٍ فَلَيْسَ يَثْبُتُ لَهُ هَوَاءٌ بِوَجْهٍ،(٢) وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ فَوْقَهُ وَتَحْتَهُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَمَاءِ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْعَمَاءُ(٣)

فقوله: "ما تحته هواء وما فوقه هواء" جاء تتميمًا وصونا لما يفهم من قوله: "في عماء" من المكان فإن الغمام المتعارف محال أن يوجد بغير هواء فالجواب من الأسلوب الحكيم، سئل عن المكان فأجاب عن أن لا مكان، يعني إن كان هذه مكانًا فهو في مكان،(٤)

المسألة السادسة: أخبر ﷺ عن أناس سيصل بهم الأمر أن يقولوا من خلق الله تعالى فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ "،(٥)

و قد تحقق ذلك في عصر الصحابة بعد وفاته ﷺ فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ " قَالَ: وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ، أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي" (٦)

---

(١)حاشية السندي على ابن ماجة ١/ ٧٨ ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٦١)

(٢)الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٥)

(٣)التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٨)

(٤)شرح المشكاة للطيبي (١١/ ٣٦٢٣)

(٥)أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان ١/ ١٩٩، ح ٢١٢

(٦)أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان ١/ ٢٠٢، ح ٢١٥

و في لفظ آخر " فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ " قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَنِي نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي(١)

و أخبر ﷺ أن الله تعالى أوحى إليه أن من أمته من سيقول ذلك فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ "،(٢)

فهذا أمر جلل في أن يضل الإنسان بفكره حتى يسأل مثل هذا السؤال ، نعم قد يأتي الشيطان فيوسوس للإنسان بذلك فعن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ "،(٣)

وَمعنى: فليستعذ، أَي: قل أعوذ بِاللَّه من الشَّيْطَان الرَّجِيم، من الْأَعْرَاض والشبهات الْوَاهِيَة الشيطانية. قَوْله:

(ولينته) ، أَي: عَن الاسترسال مَعَه فِي ذَلِك فيترك التفكر فِي هَذَا الخاطر، وليستعذ بِاللَّه من وَسْوَسَة الشَّيْطَان، فَإِن لم يزل التفكر بالاستعادة فَليقمْ وليشتغل بِأَمْر آخر، وَإِنَّمَا أمره بذلك وَلم يَأْمُرهُ بِالتَّأَمُّلِ والاحتجاج لِأَن الْعلم باستغنائه عَن الموجد أَمر ضَرُورِيّ لَا يقبل المناظرة لَهُ،(٤)

---

(١)أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان ١/ ٢٠٣، ح ٢١٦

(٢)أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان ١/ ٢٠٤، ح ٢١٧

(٣)أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس و جنوده ، مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان ١/ ٢٠٢، ح ٢١٤

(٤)عمدة القاري للعيني ١٥/ ٣١١

المبحث الرابع في قوله ﷺ " و كان عرشه على الماء، "

هذه الجملة مما اختلف العلماء في بيانها و يمكن تلخيص بيانها في المسائل الآتية :

المسألة الأولى" الواو" اتفقت عليها جميع الروايات(٢٧) رواية و قد استشكلها بعض العلماء يقول القسطلاني " استشكل بأن الجملة الأولى تدل على عدم من سواه والثانية على وجود العرش والماء فالثانية مناقضة للأولى. وأجيب: بأن الواو في وكان بمعنى ثم فليس الثانية من تمام الأولى بل مستقلة بنفسها وكان فيهما بحسب مدخولها ففي الأولى بمعنى الكون الأزلي، وفي الثانية بمعنى الحدوث بعد العدم. (١)

(١)إرشاد الساري للقسطلاني (٥/ ٢٤٩)

المسألة الثانية: كان هنا فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب تدل حصول الخبر و الحدث في الزمن الماضي غير محدد بقرب أو ببعد بخلاف " كان" في قوله " كان الله " فهي كان " الأزلية والأبدية " و قد تقدم ، و اتفقت كل الروايات عليها " و كان عرشه " (١)

المسألة الثالثة: قوله " و كان عرشه " و فيها فوائد :

الأولى" اتفقت الروايات على لفظ " عرشه" بالإضافة ، و هي إضافة تشريف و تعظيم لعرش الرحمن سبحانه

الثانية: مادة "ع ر ش" العين، والراء، والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء(٢) و العرش يطلق لغة على : الأول : سرير الملك الثاني : سقف البيت الثالث: المُلك (٣) و المراد بعرش الرحمن هو المعنى اللغوي الأول قال ابن القيم بقوله: " للعرش من حيث الجملة عدة معانٍ، فاللام للعهد وقد صار بها العرش معيناً، وهو عرش الرب تعالى الذي هو سرير ملكه، التي اتفقت عليه الرسل، (٤)

وقال البيهقي: "وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به (٥)

وقال ابن كثير: "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات(٦)

---

(١)راجع الكليات للعكبرى ص ٧٤٨ ، شرح صحيح مسلم للنووى ٢٦٤/٣

(٢)معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٤/٤)

(٣)تاج العروس للزبيدي (٣٢١/٤) .لسان العرب لابن منظور ٤/ ٤٥٦

(٤)مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (١٧/١) .

(٥)الأسماء والصفات للبيهقي (٢٧٢/٢).

(٦)البداية و النهاية لابن كثير (١٢/١)

قال ابن حجر: "قوله {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}[التوبة ١٢٩] إشارة إلى أن العرش مربوب، وكل مربوب مخلوق وفي إثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض وأجزاء، والجسم المؤلف محدث مخلوق (١) .

الثالثة: من أوصاف العرش

الأولى: أن له قوائم ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ
أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»(٢)

الثاني: أنه مخلوق قبل السماوات و الأرض، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (٣)"

الثالث: أنه عرش عظيم ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَلِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»(٤)

الرابع: أنه سقف الجنة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ

---

(١)فتح الباري (١٣/٤٠٥)

(٢)أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب فوله " و واعدنا موسى ثلاثين ليلة" ٦/ ٤١١ح ٦٩٩١ مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام ٣٢١/٧ ح ٢٣٧٣

(٣)أخرجه مسلم كتاب القدر باب حجاج موسى ٨/ ٤٤١ح ح ٢٦٥٣

(٤)أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب و كان عرشه على الماء ١٣/ ٤٥٥ ح٧٤٢٦ ، مسلم كتاب الذكر والدعاء (١٠٣/٨) ح ٢٧٣٠

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»(١)

الخامس: أنه أثقل المخلوقات ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ "،(٢)

المسألة الرابعة: في " على " هو حرف جر و أصله اللغوي بمعنى علو الشأن وارتفاعه فهو للاستعلاء الحقيقي ، (٣) و هو المراد في الحديث أي أن العرش مرتفع فوق الماء .

المسألة الخامسة : قوله " على الماء" اتفقت الروايات على هذا اللفظ ، و الماء: جسم رقيق مائع به حياة كل نامٍ من الإنسان والحيوان والنبات ، وهمزة " ماء " منقلبة عن هاء فإن جمع القلة منه " أمواه " وجمع الكثرة " مياه " وتصغيره " مُويه " والنسبة إليه " ماهي " و " مائي " و" ماوي " ، وواحد الماء " ماه " والواحدة " ماءة " وفيه معنى الصفاء ومعنى " البياض"[٤].

و هل الألف واللام في " الماء "[٥] للعهد فيكون المراد به الماء المعروف المعهود في ذهن السامعين أم المراد به ماءٌ آخر لا نعلمه ، قولان:

الأول أنه الماء المعهود المعروف و هو قول جماهير العلماء .

---

(١)أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب و كان عرشه على الماء ١٣/ ٤٥٣ ح٧٤٢٣

(٢)أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء (٩٩/٨) ح ٢٧٢٦

(٣)المفردات للراغب الأصفهاني صـ ٣٨٦ ، الكليات للكفوي صـ ٦٣٩ ،

(٤) راجع لسان العرب ٥٤٦/١٣ ، الكليات ص ٨٧٣ .

(٥)التعريفات للجرجاني ٢٠٠/١ ، البحر المحيط للزركشي ٥٧/٣ ، تحفة الأحوذي ١٧٠/١.

الثاني: أنه ماءٌ غير معهود عندنا يقول ابن حجر " وليس المراد بالماء هنا ماء البحر، لأن ماء البحر إنما وجد بعد خلق السموات والأرض، وإنما الماء المذكور هنا ماء آخر تحت العرش على ما شاء الله تعالى " (١).

و أرجح قول جماهير العلماء و ذلك لما يلي

أولاً: لأن إطلاق الماء ينصرف إلى الماء المعهود و لو كان ماءً آخر لقال "على ماءٍ " أي غير معروف

ثانياً: أن وجود ماء البحر بعد خلق السموات والأرض لا يمنع من وجود أصل الماء كمادة سائلة

ثالثاً: أن النبي ﷺ أثبت أن العرش ما زال إلى الآن على الماء الذي كان قبل خلق السموات والأرض ، فعن هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ – أَوِ القَبْضُ – يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(٢) فظهر بذلك أن الماء هو المعروف بسيولته و ميوعته ، أما حقيقة تركيبه الذاتية فعلمها عند الله تعالى

المسألة السادسة : دل الحديث على أن وجود العرش و الماء كانا قبل خلق السماوات و الأرض و أنهما غير داخلين في الستة أيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات و الأرض و ما بينهما و بهذا قال الطِّيبِيُّ و ابن حجر و ولي الدين العراقي و العيني و القسطلاني و غيرهم (٣)

---

(١)فتح الباري (١٣/ ٤١١)

(٢)أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب " و كان عرشه على الماء" ٤١١/١٣ح ٧٤١٩، و مسلم كتاب الزكاة باب الحث على النفقة ٤/ ٣٦١ح ٩٩٣

(٣)فتح الباري (٦/ ٢٨٨) طرح التثريب لولي الدين العراقي (٤/ ٦٩) و عمدة القاري للعيني (١٥/ ١٠٩) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٥/ ٢٥٠)

المسألة السابعة: دل قوله " وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ " على أَنَّ الْمَاءَ وَالْعَرْشَ كَانَا مَبْدَأُ هَذَا الْعَالَمِ لِكَوْنِهِمَا خُلِقَا قَبْلَ خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُنْ تَحْتَ الْعَرْشِ إِذْ ذَاكَ إِلَّا الْمَاءُ(١)

المسألة الثامنة: اختلف العلماء في أول الخلق على أقوال:

الأول: أن أول شيء خلقه الله من المخلوقات هو الماء و هو قول ابن مسعود و حُكي عن ابن عباس و عزاه ابن جرير لبعض أصحاب النبي ﷺ و رجحه البيهقي و ابن رجب و ابن حجر و العيني و القسطلاني (٢)

و استدل ابن حجر و العيني بحديث أبي رَزِينٍ و فيه قال ﷺ "ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ "(٣)

يقول البيهقي " فَهُوَ تعالى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، خَلَقَ الْمَاءَ أَوَّلًا، أَوِ الْمَاءَ وَمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ لَا عَنْ أَصْلٍ وَلَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَصْلًا لِمَا خَلَقَ بَعْدَهُ، فَهُوَ الْمُبْدِعُ وَهُوَ الْبَارِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ(٤)

القول الثاني: أنه العرش و قد حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، و اختاره ابن تيمية و ابن القيم و حكاه ابن كثير عن الجمهور و رجحه (٥) و استدلوا بقوله

---

(١) فتح الباري ٦/٢٨٩

(٢) تاريخ الأمم و الملوك ١/٣٩ و الأسماء والصفات" ص ٣٧٥روائع التفسير لابن رجب ١/ ٥٤٨ ، عمدة القاري

(١٥/ ١٠٩) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٨٨) إرشاد الساري للقسطلاني (٥/ ٢٥٠)

(٣) تقدم تخريجه و دراسة إسناده و أنه حديث حسن

(٤)الاعتقاد للبيهقي (ص: ٩٢) ، العيني في عمدة (١٨/ ٢٩٣) تعليقاً عليه "وَفِي وقُوف الْعَرْش على المَاء وَالْمَاء على غير تُرَاب أعظم الِاعْتِبَار لأهل الأفكار"

(٥) البداية و النهاية ١/ ٨ ، مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٢٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٩٩

تعالى " وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ " (١) يقول البيضاوي "واستدل به على أن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم. (٢)

القول الثالث : القلم و هو محكي عن ابن عباس و الْحسن وَعَطَاء وَمُجاهد رجحه ابن جرير و ابن الجوزي (٣)

و استدلوا بحديث أبي داود الطيالسي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عن أبيه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ فَقَالَ(٤)

---

(١) سورة هود الآية (٧)

(٢) تاريخ الأمم و الملوك ١/ ٢٨ المنتظم لابن الجوزي ١/ ١٢١

(٣) روائع التفسير لابن رجب ١/ ٥٤٨ عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١٠٩)

(٤) و وجهة نظر هذا الرأي أن الروايات جاءت برفع " القلم " على معني الخبر ، فلو كان الحديث " أول .. " فيرفع " القلم على الخبرية ،و لو كان الحديث " إن أول.." فيرفع على أنه اسم " إن " و المعنى عليهما: أن القلم أول مخلوق ، و لو كان القلم مفعولاً ل "خلق " لنصب القلم و لوجب سقوط الفاء في قوله " فقال "حتى يصح أن الأولية باعتبار الكتابة و ليس باعتبار الخلق ، و قد وقفت على حذف الفاء في قوله " فقال اكتب " في رواية عبادة عند الضياء المقدسي ٣٣٣/١٠ ح ٣٦٠، و الفريابي ٢٦٩/١ح ٤٢٥، و كذلك : حديث ابن عباس عند الطبراني في الكبير ١٢/ ٦٦٢ح ١٢٥٠٠، و حذفها يؤيد من قال إن الألية تتعلق بالكتابة يعني أول ما خلق الله القلم أمره بالكتابة ، فيكون الحديث جملة و احدة و ليس جملتين ، و عليه فلا يكون الحديث إخباراً بأن القلم أول مخلوق.

و قد رد الطيبي و أقره الملا علي القاري بأنه لا يمنع نصب " القلم " من دخول الفاء " فقال : اكتب " إذ يقدر قبلها " أَمره بالكتابة " فقال اكتب ، و يؤدي المعني في أن القلم ليس بأول مخلوق

و قد سلَّم كثير من العلماء برواية رفع " القلم " باعتبار أن القلم أول مخلوق ، لكنهم جعلوا الأولوية نسبية لما بعد العرش و الماء و به قال ابن حجر و العيني و الصنعاني و الملا علي القاري و غيرهم كما سيأتي في الترجيح

: «اكْتُبْ» فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: «اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ»(١)

، شرح المشكاة للطيبي (٢/ ٥٥٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٨٩) عمدة القاري(١٥/ ١٠٩)

(١) أخرجه الطيالسى في مسنده (١/ ٤٧١) ح٥٧٨من حديث عبادة و اللفظ له ، و أخرجه الترمذي كتاب التفسير باب و من سورة ن ٥/ ٢٨١ح ٣٣١٩ من طريق الطيالسي بمثله و قال " حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ" وابن الجعد في مسنده (ص: ٤٩٤)ح ٣٤٤٤ من طريق عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ بمثله و الفريابي في كتاب القدر ١/ ٢٩٥ ح ٤٢٥ من طريق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ بمثله و أحمد في مسنده (٣٧/ ٣٨١) ح٢٢٧٠٧ من طريق يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عن الوليد بن عبادة بنحوه و فيه ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، و أبو داود السجستاني كتاب السنة باب القدر ٧٦/٧ ح ٤٧٠٠، عن أبي حفصة عن عبادة بنحوه و فيه " اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ"، و أحمد في مسنده (٣٧/ ٣٨١) ح٢٢٧٠٧ من طريق يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عن الوليد بن عبادة بنحوه و فيه ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ" و ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٦٤)ح ٣٥٩٢٢ من طريق عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ ،بن الصامت عن أبيه بنحوه ،

دراسة الإسناد

١- عَبْد الواحد بن سليم المالكي البَصْرِيّ رَوَى عَن: عطاء بْن أَبي رباح و عنه الطيالسي ضعفه أحمد و ابن معين و النسائي و غيرهم و قال أبو حاتم شيخ و ضعفه الذهبي و ابن حجر ، الجرح و التعديل ٦/ ٣٤٥، تهذيب الكمال ١٨/ ٤٦١ ، الكاشف ٣/ ٢١١، التقريب ص ٤٠١

٢- عطاء بن أبي رباح المكي روى عن الوليد بن عبادة بن الصامت و عنه عبد الواحد بن سليم قال ابن حجر " ثقة كثير الإرسال ت ١١٤هـ تهذيب الكمال ١٧/ ٣٥٤، التقريب ص ٣٨٩

قال الطبري" عم بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن أول شيء خلقه الله القلم" كل شيء، وإن القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشا ولا ماء ولا شيئا غير ذلك"(١)

القول الرابع : النور و الظلمة و هو قول ابن إسحاق ، و ضعفه الطبري و ابن الجوزي " (٢)

و الراجح عندي القول الأول لوضوح الدلالة في تقديم خلق الماء على خلق العرش في أبي رَزِينٍ السابق و فيه قال ﷺ "ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ " ، و أما حديث " القلم " فالأولوية نسبية لما بعد العرش و الماء ، و به قال ابن حجر و العيني و الصنعاني و الملا علي القاري و غيرهم ، و مما يدل على ذلك : أن في حديث القلم " اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ " أي ما كان من أمر المخلوقات قبله كالعرش و الماء ، و لو كان أول مخلوق ما كتب إلا ما يكون ن فدل على أن الأولية نسبية ، و أيضاً حديث مسلم – السابق– عن عَبْدِ

٣- الوليد بن عبادة بن الصامت الأَنْصارِيّ روى عن أبيه و عنه عطاء بن أبي رباح قال ابن حجر " ثقة ط

تهذيب الكمال ٣١/ ٣٣، التقريب ٦٥١

٤-عبادة بن الصامت صحابي جليل روى عن النبي ﷺ و عنه ابنه الوليد ت ٣٤هـ

أسد الغابة ٣/ ٣٤١

الحكم على الحديث

إسناده حسن لغيره ، فيه : عَبْد الواحد بن سليم المالكي ، و قد تابعه عطاء الخراساني(وثقه ابن معين و أبو حاتم تهذيب الكمال ٢٠/ ١٠٩) عن عطاء بن أبي رباح عند الفريابي ، و للحديث شاهد عن ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ٦٦٢ح ١٢٥٠٠ ، قال الهيثمي ٧/١٩٠" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ،"

(١)تاريخ الأمم و الملوك

(٢)تاريخ الأمم و الملوك (١/ ٣٣) المنتظم لابن الجوزي ١/ ١٢١

اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ " و وجه الاستدلال أن الواو في "و عرشه " وَاوُ الْحَالِ، أَيْ كتب مقادير الخلق حَالِ، كون العرش على الماء ، و حديث خلق القلم أفاد أن الله كتابة المقادير كانت فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِ خَلْقِ الْقَلَمِ ، فَدَلَّ عَلَى سَبْقِ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ على خلق القلم الذي كتب المقادير ' [1] ويؤيد هذا حديث ابن عباس موقوفاً " قَالَ " إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: وَمَا أَكْتُبُ ؟ فَقَالَ: الْقَدَرُ، فَجَرَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، قَالَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" [2] فهو صريح في خلق القلم و العرش كان موجوداً على الماء ،[3]

المبحث الخامس قوله ﷺ" وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ،"

يحتوي هذا المبحث على عدة مسائل بيانها فيما يأتي

المسألة الأولى: " الواو" لمطلق الجمع لا تفيد ترتيباً و لا تعقيباً ، و قد جاء في بعض الروايات " فكتب " [4] و التي تفيد تعقيب الكتابة على خلق الماء و العرش مباشرة ، لكن جاء في عدة روايات " ثم كتب " [5] و التي تفيد تراخي الكتابة بعد خلق الماء و العرش و هو ما رجحه ابن حجر بقوله " وَكتب فِي

---

(١)الصواعق المرسلة ١/ ٣٦٧

(٢)أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤٠) ح و قال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» و وافقه الذهبي

(٣)شرح المشكاة للطيبي(٢/ ٥٥٤) مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (١/ ١٦٨) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٨٩) عمدة القاري(١٥/ ١٠٩) فيض القدير (٤/ ٥١٠) التحبير لإيضاح معاني التيسير للصنعاني (٣/ ٦٧٠)

(٤)رواية النسائي رقم ٦ و رواية ابن حبان رقم ٨

(٥)رواية أحمد رقم ٧ / و الطبراني في الكبير رقم ١٠، و الروياني في مسنده رقم ١٧، و الطحاوي رقم ١٨، .

الذّكر " وَلَمْ يَقَعْ بِلَفْظِ ثُمَّ إِلَّا فِي ذِكْرِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْفُوعًا" إن اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" وَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى التَّرْتِيبِ "[١]

و يضاف أيضاً أن الواو في " و عرشه " حالية أي كتبت المقادير حال كون عرشه على الماء و هذا يفيد زمناً

المسألة الثانية: " كتب" يعني: أَثبتَ ما قدره للمخلوقات بأسرها ، و أمر القلم[٢] بكتابته [٣] قال ابن تيمية " وهذا إشارة إلى كتابة ما في هذا العالم الكائن إلى يوم القيامة ، لا كتابة ما يكون بعد ذلك، و أيضا دليل على أن الكتابة في الذكر كانت والعرش على الماء، وأنه أول ما خلق من أسباب هذا العالم القلم ، لأن تقدير المخلوق سابق لخلق المخلوق، وهذا ذكر فيه أنه كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة فالمقدر به هو المخلوق الذي خلق القلم قبله ، فلم يجب أن يكون متقدما على غيره هذه المقدرات المخلوقة مما خلق قبل ذلك" [٤]

---

(١)فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٨٩)

(٢) قال الطبري " وأما القلم فهو القلم المعروف، الذي خلقه الله تعالى ، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة" جامع البيان ٥٢٢/٢٦

(٣)فتح الباري ، (٦/ ٢٨٩) عمدة القاري ١٦٨/١، إرشاد الساري ٢٥٠/٥

(٤) الصفدية (٢/ ٨٢) بتصرف

المسألة الثالثة : " في الذكر" المراد به اللوح المحفوظ[١] و قد بينته رواية أحمد و الطحاوي ففيها" كتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء" [٢] و كل ما يكتب فيه يسمى ذكراً[٣] لأن فيه ذكر كل شيء من المخلوقات [٤]،

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ فَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَكَانَ خَلَقَ الْقَلَمَ وَاللَّوْحَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا كُونَا، فَقَوْلُهُ: قَبْلَ خَلْقِهِ، وَمَا فِي اللَّوْحِ كَلَامُهُ، وَإِنَّمَا مَا فِي اللَّوْحِ مِنَ الْقُرْآنِ الْخَطُّ وَالْكِتَابُ، فَأَمَّا كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ،[٥]

قال مجاهد " القلم الذي كتب به الذكر " [٦]

و ليس المراد بالذكر هنا القرآن كما يتوهم البعض فقد يأتي اللفظ واحد و معناه يختلف تبعاً لسياقه ، فكلمة " الذكر " تأتي بمعنى الشرف و المكانة و منه قوله {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} [ص: ١]، يَعْنِي: ذَا الشَّرَفِ و المكانة ، و يأتي بمعنى الصلاة و منه قوله {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}[الجمعة: ٩] يَعْنِي: الصَّلَاةَ. و يأتي بمعنى اللوح المحفوظ و منه قوله {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ}[الأنبياء: ١٠٥] يَعْنِي: فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ}[الأنبياء: ١٠٥]، وَالزَّبُورُ قَبْلَ

---

(١) اللوح هو ما يكتب عليه القلم و سمي بذلك لأنه يلوح أي يظهر للمَلك ما فيه من الأمر ، و سمي محفوظاً لأنه "محفوظ عند الله محروس به من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان منه " زاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٤٣، تأويلات أهل السنة للماتريدي ١/ ٤٩٠.

(٢) رواية أحمد رقم ٧، و رواية الطحاوي رقم ١٨

(٣)مجموع الفتاوى (١٨/ ٢١١)

(٤)فتح الباري ٦/ ٢٩٠، عمدة القاري ١/١٦٨.

(٥)الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/ ١٩٣)

(٦) جامع البيان ٥٢٢/٢٦

الْقُرْآنِ، وَالذِّكْرُ أَيْضًا هُوَ الْقُرْآنُ و منه قوله {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] (١)

المسألة الرابعة: " كل شيء" أي كل أمور المخلوقات و الكائنات إلى قيام الساعة (٢) و وقع في رواية الطبراني " و كتب كل ما هو كائن "(٣) و في رواية أبي الشيخ " كل شيء يكون" (٤) و قد جاء في رواية الآجري وقت الكتابة ففيها " ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»(٥) و بهذا يتبين أن المراد بجملة " ثم كتب في الذكر الحديث عن أمره تعالى للقلم أن يكتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق قال البيهقي " وَالْقُرْآنُ مِمَّا كُتِبَ فِي الذِّكْرِ لِقَوْلِهِ: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: ٢٢] (٦)

المبحث السادس : قوله ﷺ " و خلق السماوات و الأرض "

---

(١)الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/ ١٩٣) بتصرف

(٢)فتح الباري ٦/ ٢٩٠، عمدة القاري ١٦٨/١.

(٣) الطبراني رقم ١٠

(٤)أبو الشيخ رقم ٢١ قال ابن تيمية " النُّصُوص الَّتِي تبين أَن الْمَخْلُوق قبل أَن يخلق كَانَ مَعْلُوما مخبرا عَنهُ مَكْتُوبًا فِيهِ شَيْء بِاعْتِبَار وجوده العلمي الكلامي الْكِتَابِيّ وَإِن كَانَت حَقِيقَته الَّتِي هِيَ وجوده الْعَيْنِيّ لَيْسَ ثَابتا فِي الْخَارِج بل هُوَ عدم مَحْض ، فَالَّذِي يُقَال لَهُ كن هُوَ الَّذِي يُرَاد وَهُوَ حِين يُرَاد قبل أَن يخلق لَهُ ثُبُوت وتميز فِي الْعلم وَالتَّقْدِير وَلَوْلَا ذَلِك لما تميز المُرَاد الْمَخْلُوق من غَيره ، دقائق التفسير (٢/ ٣٢٥)

(٥) الآجري رقم ٢٠، قال ابن تيمية "فأخبر أنه كان بين تقديره وبين خلقه للسماوات والأرض خمسين ألف سنة، وهذه أزمنة مقدرة بحركات موجوده قبل وجود الأفلاك والشمس والقمر درء تعارض العقل والنقل(٨/ ٢٨٨)و قال دقائق التفسير(٢/ ٣٢٥) فَعلم أَن الزَّمَان كَانَ مَوْجُودا قبل أَن يخلق الله الشَّمْس وَالْقَمَر ويخلق و اللَّيْل وَالنَّهَار

(٦)الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٣٤)

يتضح هذا المبحث من خلال المسائل الآتية :

المسألة الأولى: في أكثر من رواية " ثم " [١] للتراخي و في رواية أكثر من رواية " ثم خلق سبع سماوات[٢]

و مجموع هذه الروايات تفيد خلق السماوات السبع و الأراضين السبع متعاقبة دون تفات بينها

المسألة الثانية: الخلق له معنيان: ، الأول: الإنشاء و الإيجاد لذوات الأشياء من العدم ، الثاني: تقدير الشيء بما سيوجد عليه و يُعطى له (٣) ، و المراد به في الحديث المعنى الأول

المسألة الثالثة: قواعد مهمة في خلق السماوات و الأرض .

القاعدة الأولى : اتفقت الأمة على أن الله تعالى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام لا خلاف في ذلك قال تعالى " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ (ق) (٣٨)

يقول ابن كثير " و أجمع العلماء قاطبة لا يشك في ذلك مسلم أن الله خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام كما دل على ذلك القرآن(٤)

القاعدة الثانية : و لا خلاف بين العلماء أن العرش و الماء خُلقا قبل السماوات و الأرض (٥)

---

(١)البخاري رقم ١، و ابن حبان رقم ٨ ، و الطبراني رقم ١٠

(٢)رواية النسائي رقم ٦ و وابن خزيمة رقم ١٣ ، و الطبري رقم ٢٧

(٣)غرائب القرآن للنيسابوري ٣/ ٤٧ ، نظم الدد للبقاعي ٧/ ٤ ، غرائب التفسير للكرماني ١/ ٢٥٠ الدر المصون للسمين الحلبي ٤/ ٥٢٤ حاشية الشهاب على البيضاوي ٤/ ٥

(٤) البداية و النهاية لابن كثير ١/ ٨

(٥) وحكى ابن كثير في البداية ١/ ٨ عن بعض المتكلمين أنه تعالى خلق السماوات و الأرض من عدم و لم يخلق قبلهما شيء و هذا مردود عليه بالنص من القرآن و السنة "

القاعدة الثالثة : أن القول في مسألة الخلق لا مجال للاجتهاد فيه فيحتاج إلى نص من كتاب أو سنة صحيحة أو نص عن الصحابة مما يكون له حكم الرفع ، و إنما الاجتهاد يكون في دلالة النص ، هل هو نص محكم أم نص متشابه يحتمل أكثر من معنى قال تعالى "مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا الكهف (٥١) يقول القرطبي بعدما عدد الأقوال في خلق السماء والأرض " وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فَعَلَ، فَقَدِ اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ، وَلَيْسَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ مَدْخَلٌ(١)

المسألة الرابعة: أيهما خلق أولاً السماوات أم الأرض ؟

اختلفت أقوال أهل العلم في أيهما خلق أولاً : السماء أم الأرض ؟ على أقوال :

القول الأول : لقتادة و مجاهد " أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ أَوَّلًا دُخَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ الْأَرْضَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَسَوَّاهَا سبعاً " و أيده القرطبي فقال " قُلْتُ: وَقَوْلُ قَتَادَةَ يَخْرُجُ عَلَى وَجْهٍ صَحِيحٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، ..وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الدُّخَانَ خُلِقَ أَوَّلًا قَبْلَ الْأَرْضِ قوله تعالي " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ" و حكي ذلك عن ابن عباس و ابن مسعود و بعض أصحاب النبي ﷺ (٢) و استدلوا بما يأتي:

الدليل الأول : قوله تعالى" ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ " فصلت (١٠، ١١) ، فالآية تدل على أن الله تعالى استوى إلى السماء و هي موجودة مخلوقة من دخان ثم سواها سبع سماوات ، فأصل السماء موجود " الدخان " قبل خلق الأرض ،و إنما الذي كان بعد خلق الأرض تسوية السماء سبعاً ،

---

(١)الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧٥

(٢)تفسير البغوي ٤/ ١٢٦ النكت للماوردي ٥/ ١٧٣زاد المسير ، ٤/ ٤٧الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧٥

يقول ابن عاشور " أصل خلق السماء هو الدخان أي كونت مادة السماء من ذلك الدخان فتكون مادة السماء موجودة قبل وجود الأرض"(١)

الدليل الثاني : قوله تعالى [ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا](٢) يقول الرازي "و هذه الآية تقتضي تقديم خلق السماء على خلق الأرض و لا تقتضي أن تكون تسوية السماء مقدمة على خلق الأرض "(٣) و أيده ابن عاشور بقوله " هذه الآية أظهر في الدلالة على ان الارض خلقت بعد السماوات و هو الذي تؤيده أدلة علم الهيئة (٤)

و معنى " دحاها " على هذا القول أي " خلقها " كما ذكره الكرماني(٥) و كذلك كل آيات خلق السماوات و الأرض يقدم فيها ذكر السماء على ذكر الأرض مما يوحي بتقديم خلق السماء على خلق الأرض

القول الثاني: لابن عباس و ابن عمر و الحسن و مجاهد أن جوهر الأرض و أصلها خُلق قبل السماء وفسروا " الاستواء للسماء" بأنه كان بعد أن خلقها دُخانًا، وقبل أن يسوِّيَها سبعَ سموات ، أو أنه تعال سماها " سماءً " وَهِيَ دُخَانٌ " من باب ما سيكون كما نقله الطبري عن بعضهم وبالتالي فسروا قوله " فسواهن سبع سماوات " أي خلقهن سبع سماوات ، و نقل ذلك عن الربيع

---

(١) التحرير و التنوير ٣٠/ ٨٧ ، و معنى" فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ " أي : عدّل خلقهن على التمام و الكمال و الجمال فجعلهن سبع سماوات ، فلا اعوجاج فيهن و لا فطور ولا صدع و لا انشقاق مفاتيح الغيب ٢/ ٣٨٢ ،

(٢) سورة فصلت من الآية (٢٧: ٣٠)

(٣) مفاتيح الغيب ٢/ ٣٨٢

(٤)التحرير و التنوير ٣٠/ ٨٧

(٥) غريب التفسير ٢/ ٣٩

بن أنس و وافقه البغوي أيضاً (١) و قد رجحه ابن حجر و العيني و القسطلاني (٢) و استدلوا على ذلك

الدليل الأول : بقوله تعالى " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ " البقرة (٢٩)

يقول الجرجاني " و في الآية دليل على أن خلق الارض و ما فيها مقدم على تسوية السماوات" (٣)

و قال ابن كثير " فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى ابْتَدَأَ بِخَلْقِ الْأَرْضِ أَوَّلًا ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَهَذَا شَأْنُ الْبِنَاءِ أَنْ يَبْدَأَ بِعِمَارَةِ أَسَافِلِهِ ثُمَّ أَعَالِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدْ صَرَّحَ الْمُفَسِّرُونَ بِذَلِكَ،(٤)

الدليل الثاني: قوله تعالى[قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ](٥) يقول ابن عاشور "استدل الجمهور بهذه الآية على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء(٦)

و رد الماتريدي على ذلك فقال " ليس في آية فصلت بيان أنه خلق الأرض قبل السماء ولا السماء قبل الأرض لأنه ذكر أنه خلق الارض في يومين ثم

(١)جامع البيان ١/ ٤٣١ تفسير البغوي ٤/ ١٢٦

(٢)فتح الباري ٥٥٨/٨، عمدة القاري ١٥١/١٩، إرشاد الساري ٢٥٣/٥

(٣) درج الدرر في تفسير الآي و السور للجرجاني ١٣٤/١

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢١٣/١

(٥)سورة فصلت (٩،١٠)

(٦) التحرير و التنوير ١/ ٣٨٤

قال " ثم استوى إلى السماء " فذكر الاستواء إلى السماء و ليس فيه أنه خلقها بعد الأرض بل فيه أنه استوى إليها بعد خلقها " (١)

و أقول : و الناظر إلى موقف العلماء يجده ثلاثة مواقف:

الاول: الترجيح بأن السماء خلقت قبل الأرض و رجحه الرازي و البيضاوي والألوسي و ابن عاشور(٢)

الثاني الترجيح بأن الأرض خلقت أولاً و من هؤلاء المفسرين : الطبري و البغوي و الراغب الأصفهاني و أبو حيان و القاسمي و ابن كثير ابن حجر و العيني و القسطلاني و الشوكاني (٣)

الثالث التوقف: و مال إليه الكرماني(٤) و الماوردي حيث قال " وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فَعَلَ، فَقَدِ اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَقَاوِيلُ ، وَلَيْسَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ مَدْخَلٌ "(٥) و وجدت القرطبي ذكر نفس المقولة فكأنه مال كذلك للتوقف (٦) و منهم الشيخ محمد عبده حيث قال " ابتداء الخلق غير معروف إلا أن تسوية السماء سبع سماوات يُظهر أنه كان بعد تكوين الأرض ، و يظهر أن السماء كانت موجودة إلا أنها لم تكن سبعاً و لذلك ذكر الاستواء إليها "(٧)

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٩/ ٦٦

(٢) مفاتح الغيب ٢٧/ ٥٤٦ أنوار التنزيل ٥/ ٦٨ ، روح المعاني١٢/ ٣٧٥ التحرير و التنوير ١/٣٨٤

(٣) جامع البيان ١/ ٤٣١ تفسير البغوي ١/ ١٠١ تفسير الراغب ١٥/ ١٣٦ البحر المحيط ١/ ٢١٩ محاسن التأويل ١/ ٢٨٢تفسير القرءان العظيم لابن كثير ١/ ٢١٥ فتح القدير ١/ ٧٣

(٤)غرائب التفسير للكرماني ٢/ ١٢٧

(٥) النكت و العيون للماوردي ٥/ ١٧٣

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٧٥

(٧) المنار ١/ ٢٠٨

و بعد ذكر هذه المواقف العلماء ، أرجح أن السماوات و الأرض خُلقا معاً و ذلك لما يأتي :

أولاً : أن مادتهما الأصلية هي " الرتق " التي ذكرها الله تعالى حيث قال تعالى [أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا](٣٠) ، فلم تك تتميز السماوات عن الأرض في مرحلة التميز لا بالجوهر و لا بالاسم بل كانا كما قال الزمخشري و الألوسي شيئاً واحداً اسمة " الرتق " (١)

يقول ابن كثير " إن الجميع كان متصلاً بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه على بعض في ابتداء الأمر(٢)

و قال الشيخ محمد عبده قال " العالم كله كان شيئاً واحداً ثم فصله الله بالخلق تفصيلاً و قدره تقديراً " (٣)،

و قال الرازي " ظاهر الآية أن السماء و الأرض كانتا رتقاً ، و لا يجوز كونهما كذلك إلا و هما موجودان"(٤)

و على ذلك فلا سبق لأحدهما على الآخر في الوجود لاتحاد مادتهما

ثانياً : أثبت الله وجود السماوات قبل استوائه تعالى إليها بعدة إشارات ،

الأولي : قوله [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ] تفيد وجود السماء قبل استوائه إليها ، الثانية: قوله [وَهِيَ دُخَانٌ] تفيد وجود مادة السماء(٥) -الدخان- قبل الاستواء إليها الثالثة : قوله [فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا]فهذا

---

(١) روح المعاني للألوسي ٩/ ٣٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٢٤٥٠

(٣) المنار لمحمد عبده ١/ ٢٠٧

(٤) التفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧

(٥) من نص على أن مادة السماء هي الدخان " أبو حيان في البحر المحيط ٩/ ٢٨٨و البيضاوي في أنوار التنزيل ٥/ ٦٨ و ابن عاشور في التحرير ٢٤/ ٢٤٦

خطاب للسماء و قبل تسوية السماء سبعاً (١).الرابعة : قوله [قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] تفيد وجودهما قبل تسوية السماء سبعاً

ثالثاً : لا يوجد نص قرآني صريح في أنه تعالى خلق السماء قبل الأرض أو الأرض قبل السماء و يوضح الماتريدي ذلك فيقول " ليس في آية فصلت بيان أنه خلق الأرض قبل السماء و لا السماء قبل الأرض لأنه ذكر أنه خلق الارض في يومين ثم قال " ثم استوى إلى السماء " فذكر الاستواء إلى السماء و ليس فيه أنه خلقها بعد الأرض بل فيه أنه استوى إليها بعد خلقها"(٢) و بهذا يرد على ابن كثير في قوله" و أما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص "(٣) لأن النص[فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ]و لم يقل فخلقهن سبع سماوات ، لأن السماء كانت دخاناً قبل تسويتها بنص آية " فصلت (٤)

---

(١)ذكر الماوردي في النكت ٥/ ١٧٢القرطبي في الجامع ١٥/ ٣٤ أن الجمهور على أن هذا القول كان بعد خلق السماء ، و الأرض رجحه ابن عطية فقال في المحرر ٥/ ٧ " و هو الراجح لأنه لا شيء يدفعه و العبرة فيه أتم و القدرة فيه أظهر " و المعنى عليه : الاول : أعطيا لي من أنفسكما من الطاعة ما أردت منكما في السير المقدر لكما ، طوعاً ، أي اختياراً ، أو كرهاً أي اجباراً ،و هذا قول ابن جبير ، المعنى الثاني : أعطيا لي عبادتي و معرفتي من سجود و تسبيح ، طوعاً أو كرهاً ، المعنى الثالث : أخرجا ما فيكما مما امرت به فقيل للسماء أخرجي نجومك و شمسك و كواكبك ، و قيل للأرض أخرجي أنهارك و بحارك و أشجارك و نباتك و هو قول ابن عباس جامع البيان للطبري ٢١/ ٤١٠ و ذكر الفخر الرازي تفسيره ٢٧/ ٥٤٥ و رجحه أن هذا القول كان قبل خلق السماء و معنى الآية عنده : كونا ، فكانا ، فكأن الآية لخلقهما و إيجادهما .و الراجح الجمهور

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٩/ ٦٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٦٥

(٤)زاد المسير ١/ ٤٩ فتح البيان ١/ ١٢٢

و كذلك يرد على قوله " إِنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَهَذَا مَا لَا أَعْلَمُ فِيهِ نِزَاعًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ إِلَّا مَا نَقَلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ السَّمَاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ، وَقَدْ تَوَقَّفَ فِي ذَلِكَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١)

يرد عليه بما سبق من أصحاب القول الأول و موافقة كثير من العلماء عليه

رابعاً : على القول بأن السماوات و الأرض خُلقا جميعاً من مادتهما " الرتق " نستطيع أن نجمع بين الآيات بدون تكلف و تعسف ، فنقول :

١- أصل خلق السماوات و الأرض الفتق يقول ابن عاشور "وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ نَحْوَ: فَصَارَتَا فَتْقًا، لِيُسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ فِي فَتْقِهِمَا، وَلِدَلَالَةِ الْفِعْلِ عَلَى حَدَثَانِ الْفَتْقِ إِيمَاءً إِلَى حُدُوثِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا (٢)

٢- حدث خلق السماوات و الأرض من هذا الفتق ،يقول ابن عاشور " كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رَتْقًا وَاحِدًا، أَيْ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ انْفَصَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ [فَفَتَقْنَاهُمَا]الأنبياء (٣٠) (٣)

و نلاحظ عدة إشارات قرآنية في قضية الفتق ، الأولي : السرعة بين حالة الرتق و حالة الفتق حيث قال " كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا "فالفاء تفيد الترتيب مع التعقيب فلم يستغرق الرتق وقتاً بل حدث الفتق سريعاً ،

الثانية : تحول حالة الرتق إلى حالة الفتق أي صار الرتق أجزاءً متناثرة متباعدة كما قال ابن عاشور ، و يفصل بين هذه الجزيئات الهواء كما قال الطبري (٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٣٣

(٢)التحرير و التنوير ١٧/ ٥٤

(٣)التحرير و التنوير ١٧/ ٥٤

(٤) التحرير و التنوير ١٧/ ٥٤ جامع البيان للطبري ٨/ ٤٣٠

الثالثة : و جود التمايز بين جوهر الأرض و جوهر السماء فصار جوهر السماء " دخاناً " كما قال تعالى "
[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ] و صار جوهر الأرض من تراب (١) و صخور (٢)و حديد (٣) متناثر من هذا الفتق في جو السماء ،و بدأ الله تعالى خلق جوهر الأرض من ذرات الفتق كما إليه أشار الراغب(٤)
فمن خلال ما ظهر لي من هذه الأدلة يتضح أن أصل خلقهما واحد ، و الله أعلم

المسألة الخامسة: مراحل خلق السماوات و الأرض

اختلف العلماء في المرحلة الأولى لخلق السماوات و الأرض على أقوال :
القول الأول : و بها قال ابن عباس و ابن جبير و مجاهد و الحسن و قتادة و عطاء أن السماوات و الأرض كانا شيئاً واحداً ، متصلين متلاصقين متلاحمين متحدي الأجزاء اتحاداً قوياً ، ففصلهما الله تعالى إلى بالتمييز و التنويع ، فجعل السماء منفردة و الأرض منفردة ، و باعد و فرق بين أجزائهما، و استدلوا على ذلك بقوله [أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ] الأنبياء (٣٠) ، و ممن رجح هذا القول : الرازي و ظاهر قول ابن الملقن و

---

(١) ودليله حديث " خلق الله التربة يوم السبت " أخرجه مسلم ، كتاب: صفة القيامة و الجنة و النار ،باب: ابتداء الخلق و خلق آدم ٤/ ٢١٤٩ ح (٢٧٨٩)
(٢) و دليله قوله [و إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار] البقرة الآية(٧٣)
(٣)دليله [و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس] الحديد الآية (٢٥)
(٤) و دليله حديث مسلم " خلق الله التربة يوم السبت " أي التراب

ابن حجر و العيني و القسطلاني و الشيخ محمد عبده و ابن عاشور و غيرهم (١)

و من مرجحات هذا القول :

١- أنه المعنى الصريح الذي يفهم من الآية لأول وهلة دون تأويل

٢- كلمة " رَتْقًا " مصدر و المصدر يدل على شدة الالتصاق يقول ابن عاشور " و عبر بالمصدر للمبالغة في حصول صفة الاتصال ، أي أن الرتق كان متمكناً منهما أشد التمكن ليستدل بذلك على عظم القدرة في فتقهما(٢)

القول الثاني : لمجاهد و أبي صالح و السدي و رجحه الزجاج أن السماء كانت رتقاً : أي قطعة و احدة ففتقها الله سبعاً ، و أن الأرض كانت رتقاً : أي قطعة و احدة ففتقها الله سبعاً ، و لم يقل " كن" أنهما صنفان ، إذ لم يكونا – السماء و الأرض – سبعاً عند الرتق (٣)،

القول الثالث : لابن عمر وحكي عن ابن عباس و الضحاك و عكرمة و ابن زيد أن الأرض خلقت منفصلة سبعاً و كانت رتقاً : أي سداً لا تنبت ففتقها الله : أي شق أرضها فأنبتت الزروع و الثمار و الأشجار ، و أن السماء خلقت واحدة منفصلة دخاناً فسواهن سبع سماوات و كانت رتقاً : أي لا تمطر ، ففتقها الله بالمطر و هذا القول رجحه الطبري و الماتريدي و ابن عطية و القرطبي ، و من مرجحات هذا القول :

---

(١) جامع البيان ٨/ ٣٤٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٥٠ المنار لمحمد عبده ١/ ٢٠٧ ، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن١٩/٥٦١ فتح الباري ٥٥٨/٨، عمدة القاري ١٥١/١٩، إرشاد الساري ٢٥٣/٥

(٢) التحرير و التنوير لابن عاشور ١٧/ ٥٣

(٣) مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٣٧

١- أن الفتق بناءً على هذا القول يتوافق مع آخر الآية " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " حيث إن الماء من أسباب الفتق ، أي خروج الزرع و الثمار
٢- أن الفتق بناءً على هذا القول يجعل الرؤية في صدر الآية " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا " رؤية بصرية و ليست علمية و لا قلبية لأن الرؤية البصرية أظهر و أدل في الحجة من القلبية و العلمية (١)

القول الرابع: لأبي مسلم الأصفهاني أن الرتق للسماوات و الأرض مجاز عن العدم و أن الفتق مجاز عن الوجود و الخلق ، و رده الرازي بقوله " ظاهر الآية أن السماوات و الأرض كانتا رتقاً ، و لا يكونان مذلك إلا و هما موجودان "(٢)

و أولى الأقوال عندي الأول ، و ذلك لما يأتي :

أولاً : أن كلمة " رتقاً " نعت و وصف للحال الأول للسماوات و الأرض و هي نعت للمفرد و للمثنى و الجمع فيجوز أن تكون السماء و الأرض قطعة واحدة متماسكة ففتقا الله لسماء و أرض و هذا أقرب إلى الأفهام فلو أراد القطع في المسألة لقال " رتقين " أي كانت السماء رتقاً على حده و الأرض رتقاً على حده دون اختلاف ، لكنه جعلها " رتقاً" ليشمل أيضاً كون الرتق لكل من السماء و الأرض كلاهما على حده ،

---

(١) جامع البيان ٨/ ٣٤٠ ، تأويلات اهل السنة للماتريدي ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٣٩ تفسير البغوي ٣/ ٢٨٧ زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ١٨٩ الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٨٣

(٢) و حكى ابن كثير في البداية ١/ ٨ عن بعض المتكلمين أنه تعالى خلق السماوات و الأرض من عدم و لم يخلق قبلهما شيء و هذا مردود عليه بالنص من القرآن و السنة "

ثانياً : كلمة " رتقاً " مصدر للمبالغة في شدة التماسك و التلاحم فأولى أن يكون الرتق كون السماوات و الأرض كانا قطعة واحدة لعظيم دلالة القدرة

ثالثاً : أن تفسير الرتق على القول الأول أعظم شأنا في التحدي للبشر للوصول إلى هذه الحقيقة و لبيان عجزهم و ضعفهم

المسألة السادسة : تتمة للحديث، و فيها فوائد

الأولى : قول عمران: فَنَادَى مُنَادٍ هو :رجل لم يعرف اسمه (١) ، قال ابن حجر قَوْلُهُ فَنَادَى مُنَادٍ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا عِمْرَانُ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ" (٢)

الثانية : قوله " ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ " في رواية " ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ"(٣) و في رواية " وَأَتَانِي آتٍ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ انْحَلَّتْ نَاقَتُكَ مِنْ عِقَالِهَا "(٤)

و بهذا يتبين أن شرود ناقته كان بسبب تفلتها من عقالها

الثالثة: قوله " فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا"و في رواية " فَخَرَجْتُ فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا "(٥) و السَّرَابُ:ما يرى في النهار في الحر كأنه ماء ،و المعني أن مسافة رؤيتي للسراب حالت بيني و بينها(٦)

الرابعة: قوله " فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا" و في رواية " وَايْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ"(١)

---

(١) رواية البخاري رقم (١) و (٢)

(٢)فتح الباري (٦/ ٢٩٠)

(٣)رواية البخاري رقم (١)

(٤)رواية أحمد رقم ٧

(٥)رواية أحمد رقم ٧

(٦)فتح الباري (٦/ ٢٩٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١٠٩) (

(وَايْمُ اللَّهِ) بِفَتْحِ هَمْزِ وَصْلٍ أَوْ قَطْعٍ وَتَحْتِيَّةٍ سَاكِنَةٍ وَمِيمٍ مَضْمُومَةٍ مُضَافَةٍ إِلَى الْجَلَالَةِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ بِنَفْسِهَا وَلَيْسَتْ

جَمْعًا، و ايْمُ اللَّهِ اسْمٌ مَوْضُوعٌ لِلْقَسَمِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وَهَمْزَتُهُ لِلْوَصْلِ، وَلَمْ يَجِئْ فِي الْأَسْمَاءِ أَلِفُ الْوَصْلِ مَفْتُوحَةً

غَيْرُهَا، وَتَقْدِيرُهُ ايْمُ اللَّهِ قَسَمِي، وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ هُوَ مَحْذُوفُ " أَيْمُنٍ "جَمْعُ يَمِينٍ وَهَمْزَتُهُ لِلْقَطْعِ (٢)

الخامسة : قوله " لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ " أي تمنيت أني تركتها و لم أقم إليها حتى و إن أدى ذلك لفقدها بالكلية(٣) و ذلك لتأسفه على ما فاته من حديث رسول الله ﷺ في رواية " فَلَيْتَهَا ذَهَبَتْ وَاسْتَوْعَبْتُ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ"(٤) لِأَنَّهُ قَامَ قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ النَّبِيُّ ﷺ حَدِيثَهُ فِي ظَنِّهِ فَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ (٥)

السادسة : قوله في رواية " قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهَا فَلَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعْدِي"(٦) و هذه الجملة استوقفت الحافظ ابن حجر فبحث عما ظن عمران أنه فاته يقول رحمه الله " وَقَدْ كُنْتُ كَثِيرَ التَّطَلُّبِ لِتَحْصِيلِ مَا ظَنَّ عِمْرَانُ أَنَّهُ فَاتَهُ

(١)رواية البخاري رقم (١) و ابن حبان ٨
(٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيرازي (٩/ ٣٦٣٣)
(٣)فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤١٠)
(٤)رواية الطبراني ١٠ ٨
(٥)فتح الباري (٦/ ٢٩٠)
(٦)رواية أحمد رقم ٧ و الطحاوي ١٨ و البيهقي ٢٥

مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى قِصَّةِ نَافِعِ بْنِ زَيْدٍ الْحِمْيَرِيِّ فَقَوِيَ فِي ظَنِّي أَنَّهُ لَمْ يَفُتْهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقِصَّةِ بِخُصُوصِهَا لِخُلُوِّ قِصَّةِ نَافِعِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ قَدْرٍ زَائِدٍ عَلَى حَدِيثِ عِمْرَانَ إِلَّا أَنَّ فِي آخِرِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ وَمَا فِيهِنَّ وَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ (١)

وَلَمْ أَقِفْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَسَانِيدِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى نَظِيرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا عِمْرَانُ وَلَوْ وُجِدَ ذَلِكَ لَأَمْكَنَ أَنْ يُعْرَفَ مِنْهُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اتُّفِقَ أَنَّ الْحَدِيثَ انْتَهَى عِنْدَ قِيَامِهِ(٢)

و هو كما قال رحمه الله تعالى

و الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات

---

(١)فتح الباري (٦/ ٢٩٠)

(٢)فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤١٠)

نتائج البحث و توصياته

١-لم يسأل الصحابة عن ذات الله تعالى و لم يتركوا لأنفسهم عنان الفكر في ذلك فسلموا في دينهم

٢-سؤال الصحابة كان عن صفة الله تعالى قبل أن يخلق خلقه و عن الخلق و كيف بدأ

٣- التوقف في الحديث عن ذات الله و عن مبدأ الخلق إلا بما ثبت فيه النص من كتاب أوسنة مقبولة ، و غير ذلك ضرب من الانحراف و الضلال و القول فيما ليس به علم ، قد يوقع التفكير فيه – بغير هدىً من الله– في الضلال ، بل أحياناً في الكفر و الإلحاد .

٤- بين النبي ﷺ أن الترف الفكري بعده سيصل بأناس أن يقولوا من خلق الله ، و هذا من الخطورة بمكان

٥- تبين أن الله تعالى كان و لم يك شيء قبله فهو الأول فليس قبله شيء

٦- تبين أن أول الخلق يدور بين ثلاثة أقوال رئيسية : الماء و العرش و القلم ، و أن الراجح فيما ظهر لي الماء

٧-تبين أن خلق هذه الثلاثة كانت قبل خلق السماوات و الأرض و ما بينهما ، و أنها لا تدخل في الستة أيام التي خلق الله فيها السماوات و الأرض .

٨-تبين اختلاف العلماء في أيهما أسبق في الخلق السماوات أم الأرض و الراجح فيما ظهر لي أن أصلهما خلقا معاً لأن مادتهما واحدة و هي " الرتق" و كيفية التكوين هو الذي فيه تقديم و تأخير بينهما .

التوصية

١- الرجوع إلى الكتاب و السنة فيما ليس للعقل فيه مجال حتى لا يزيغ عن الحق .

٢- عدم الاعتماد على الظنون في مسائل الخلق .

٣- إشباع الرغبة الفكرية في البحث عن بدء الخلق في ضوء النصوص القرآنية و النبوية .

الخاتمة

بعد هذه التطوافة حول الحديث تبين لنا أهمية هذا الحديث في ضبط الفكر حول ذات الله عز وجل و حول أولوية الخلق و النصوص الواردة في ذلك و نخلص من هذا البحث بهذه النتائج

-لم يسأل الصحابة عن ذات الله تعالى و لم يتركوا لأنفسهم عنان الفكر في ذلك فسلموا في دينهم

٢-سؤال الصحابة كان عن صفة الله تعالى قبل أن يخلق خلقه و عن الخلق و كيف بدأ

٣- التوقف في الحديث عن ذات الله و عن مبدأ الخلق إلا بما ثبت فيه النص من كتاب أوسنة مقبولة ، و غير ذلك ضرب من الانحراف و الضلال و القول فيما ليس به علم ، قد يوقع التفكير فيه – بغير هدىً من الله– في الضلال ، بل أحياناً في الكفر و الإلحاد .

٤- بين النبي ﷺ أن الترف الفكري بعده سيصل بأناس أن يقولوا من خلق الله ، و هذا من الخطورة بمكان

٥- تبين أن الله تعالى كان و لم يكن شيء قبله فهو الأول فليس قبله شيء

٦- تبين أن أول الخلق يدور بين ثلاثة أقوال رئيسية : الماء و العرش و القلم ، و أن الراجح فيما ظهر لي الماء

٧-تبين أن خلق هذه الثلاثة كانت قبل خلق السماوات و الأرض و ما بينهما ، و أنها لا تدخل في الستة أيام التي خلق الله فيها السماوات و الأرض .

٨-تبين اختلاف العلماء في أيهما أسبق في الخلق السماوات أم الأرض و الراجح فيما ظهر لي أن أصلهما خلقا معاً لأن مادتهما واحدة و هي " الرتق" و كيفية التكوين هو الذي فيه تقديم و تأخير بينهما .

التوصية

١- الرجوع إلى الكتاب و السنة فيما ليس للعقل فيه مجال حتى لا يزيغ عن الحق .

٢- عدم الاعتماد على الظنون في مسائل الخلق .

٣- إشباع الرغبة الفكرية في البحث عن بدء الخلق في ضوء النصوص القرآنية و النبوية .

ملخص البحث

يتحدث البحث عن قضايا غيبية تتعلق بأزلية وجود الله تعالى و أول ما خلق من المخلوقات

يضبط هذا الحديث مجال الفكر في هذه الأمور الغيبية التي لا محال للعقل فيها ، و في نفس الوقت يحتاج الفكر إلى إشباع الرغبة في معرفتها ، فكان هذا الحديث نور يضيء الطريق للعقل في معرفة هذه الأمور

احتوى البحث على أقوال العلماء في أول المخلوقات و أدلتهم مع بيات الراجح مع التعليل

احتوى البحث على تفاصيل جزئيات الحديث و بيان معانيها بما لا يوجد في موضع آخر

استوعب البحث تخريج حديث " كان الله" من أكثر من خمسة و عشرين موضعاً مع المقارنات في المتن

استوعب البحث كل ما وقفت عليه من أحاديث تتكلم عن بداية الخلق مع دراستها و الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين أو احدهما

من خلال البحث تبين قلة الأحاديث التي تكلمت عن بدء الخلق ، و تبين بأن ذلك لم يكن يشغل الصحابة رضوان الله عليهم

فهر س المصادر والمراجع

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (محمد بن حبان البستي) للأمير علي بن بلبان الفارسي ت ٧٣٩ هـ ط مؤسسة الرسالة أولى ١٩٨٨م.

٢. هـ على هامش الإصابة ط دار الفكر العربي.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ ط دار الفكر

٤.

٥. تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ت ٣١٠ هـ ط دار الكتب العلمية الثالثة ١٩٩١م.

٦. تفسير الفخر الرازي المسمى بالتفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) للإمام محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي ت ٦٠٤ هـ ط دار الغد – أولى ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م.

٧. تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ ط دار التراث.

٨. تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ط دار الرشيد الثالثة ١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

٩. تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن حجر بن علي العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ط دار إحياء التراث العربي – الثانية – ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الحجاج المزي ت ٧٤٢ هـ تحقيق بشار عواد ط مؤسسة الرسالة – أولى ١٩٩٢.

١١. الجامع لأحكام القرآن الكريم لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – ط دار الفكر ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م.

١٢. جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ ط دار الحديث ١٩٨٧م.
١٣. الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس المعروف بابن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧ هـ ط دار المعارف العثمانية بحيدر آباد – الدكن – الهند الأولى.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للسيد محمد الألوسي ت ١٢٧٠ هـ ط دار إحياء التراث العربي.
١٥. سنن بن ماجة محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ تحقيق وترقيم خليل مأمون ط دار المعرفة – أولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.
١٦. سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ ط دار الفكر.
١٧. الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩ هـ ط دار الرياض الحديثة.
١٨. سنن الدارقطني علي بن عمر الدارقطني ت ٣٨٥ هـ ط عالم الكتب الرابعة ١٩٨٦م.
١٩. سنن الدارمي عبد الله بن مهرام الدارمي ت ٢٥٥ هـ ط دار الريان – أولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
٢٠. السنن الكبرى للبيهقي أحمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ ط دار المعرفة بيروت.
٢١. السنن الكبرى للنسائي أحمد بن شعيب ت ٣٠٣ هـ ط دار الكتب العلمية – بيروت الأولى ١٩٩١.
٢٢. سنن النسائي أحمد بن شعيب ت ٣٠٣ هـ ط دار المعرفة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

٢٣. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن للحسين بن محمد الطيبي ت ٧٤٣ هـ ط مكتبة نزار مصطفى الباز . تحقيق عبد الحميد هنداوي أولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧.

٢٤. شرح معاني الآثار للطحاوي أحمد بن سلامة ت ٣٢١ هـ تحقيق محمد زهري النجار ط دار الكتب العلمية الثانية ١٩٨٧م.

٢٥. شعب الإيمان للبيهقي أحمد بن الحسين ت ٤٨٥ تحقيق محمد السعيد بسيوني ط دار الكتب العلمية – الأولى ١٩٩٠.

٢٦. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت ٢٥٦ هـ ط دار إحياء الكتب العربية ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٧. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث الأولى ١٩٩١م.

٢٨. الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية بدون تاريخ واسم طبعة.

٢٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ ط دار الريان – أولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م.

٣٠. فيض القدير – شرح الجامع الصغير لعبد الرءوف المناوي ت ١٠٣١ ط دار الحديث.

٣١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – ٧٤٨هـ – نشر دار الكتب الحديثة – أولى ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

٣٢. الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ط مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ .

٣٣. اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير المبارك بن محمد الجزري ت ٦٠٦هـ ط دار صادر – بيروت.

٣٤. لسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ ط دار الشعب.

٣٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر نور الدين الهيثمي ت ٨٠٧ ط دار الكتب العلمية.

٣٦. المستدرك على الصحيحين للحاكم محمد بن عبد الله ت ٤٠٥هـ ط دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن – الهند.

٣٧. مسند أبي داود الطيالسي – سليمان بن داود بن الجارود ت ٢٠٤هـ ط دار المعرفة.

٣٨. مسند الشهاب للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي – تحقيق حمدي السلفي ط مؤسسة الرسالة.

٣٩. مسند أبي يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى ت ٣٠٧هـ تحقيق حسين سليم أسد ط دار المأمون للتراث ١٩٨٤م.

٤٠. مسند أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ط دار صادر – بيروت.

٤١. مسند الحميدي عبد الله بن الزبير ت ٢١٩هـ تحقيق عبد الرحمن الأعظمي ط دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٨م.

٤٢. المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ ط دار الفكر الأولى ١٩٨٩م.

٤٣. المعجم الأوسط للطبراني سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ تحقيق محمود الطحان ط مكتبة المعارف – الرياض ١٩٨٥م.

٤٤. المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد الطبراني ت٣٦٠هـ تحقيق محمد بن عبد الحميد السلفي – نشر مكتبة ابن تيمية.

٤٥. معرفة السنن والآثار للحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ت٤٥٨هـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية١٩٦٩م.

٤٦. مغني اللبيب من كتب الأعاريب لابن هشام المصري: عبد الله بن يوسف بن أحمد ت ٧٦١هـ ط دار إحياء الكتب العربية.

٤٧. مفرادات ألفاظ القرآن للراغب الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغر الأصفهاني ط دار الكتب العلمية – بيروت – أولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

٤٨. المنهاج – شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحي الدين بن شرف النووي ت٦٧٦هـ ط دار المعرفة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٩. الموطأ للإمام مالك بن أنس ت ١٧٩هـ ترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الحديث – ثالثة ١٩٩٣.

٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المبارك بن محمد الجزري ت٦٠٦هـ ط المكتبة العلمية – بيروت.